سلسلة مؤلفات السيد الديباجي المطبوعة
(٣٢)

حقوق الانسان في الإسلام

تأليف
السيد أبو القاسم الديباجي

سلسلة مؤلفات السيد الديباجي المطبوعة
(٢٦)

حقوق الإنسان في الإسلام

تأليف
السيد أبو القاسم الديباجي

الطبعة الالكترونية الاولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م


بسم الله الرحمن الرحيم

قالَ أبو عبدِ اللهِ عليه السلام:

إذا رأيتم العالم محبّاً للدنيا فاتّهموه على دينكم فإنّ كلّ محبٍّ لشيءٍ يحوطُ ما أحبّ. وقالَ عليه السلام: أوحى اللهُ إلى داودَ عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي فإنّ أولئك قطّاع طريق عبادي المريدين إنّ أدنى ما أنا صانعٌ بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم.

«الأصول الكافي، كتاب فضل العلم»

عَنْ إِمَامِ العَارِفِينَ

أَمِيرِ المُؤمِنِينَ (ع)

العِلْمُ نَهْرٌ

وَالحِكْمَةُ بَحْرٌ

وَالعُلَمَاءُ حَوْلَ النَّهْرِ يَطُوفُونَ

وَالحُكَمَاءُ وَسَطَ البَحْرِ يَغُوصُونَ

وَالعَارِفُونَ فِي سُفُنِ النَّجَاةِ يَسِيرُونَ

في المجلد الثاني لشرح أصول الكافي للملا محمد صالح المازندراني صفحة ٢٠ باب فضل العلم

المقدمة

معرفة الحقوق والرعاية والاهتمام بها

تعتـبر معرفـة الحقوق المتقابلة للانسـان والاهتمام بها مـن الموضوعات المهمة جـدا في نظر الفطرة، العقل والاسلام، فانذا تمت المعرفة والاهتمام فان كثير من المشاكل المعنوية والمادية بل كلها سوف تحل وتبعد، وتطرد وستظهر روضة وبستانٌ من الانسانية.

وبناء على ذلك فان على عاتقنا مسئوليتان كبيرتان بخصوص حقوق الانسان وهما:

١ – معرفة حقوق الانسان.

٢ – رعاية الحقوق في السلوك والعمل.

المسئولية الأولى

لنضـع في الاعتبار سـيارة النقل التي مـرت في أربعة مراحل حتى اسـتطعنا الاسـتفادة منها وهذه المراحل هي:

١ – الاكتشاف والمعرفة

٢ – الاستخراج

٣ – صناعة قطع الغيار

٤ – الانتاج

في البداية يجب اكتشـاف مواد الخامة الاصلية ومن ثم اسـتخراجها وفي المرحلة الثالثة يجب تحويل المـواد المسـتخرجة الى قطـع غيار سـيارة، ثم في المرحلة الاخـيرة يجب توصيل تلك القطـع مع بعضها البعض حسب خريطة دقيقة حتى تكتمل السيارة وتتحرك.

بناء على ذلك فان الخطوة الاولى هي الاكتشاف والمعرفة، ونحن ايضاً بالنسبة الى الحقوق الاسلامية يجب في البداية ان نكتشف موضوع ومحور الحقوق الذي هو الانسان بنفسه وندرك بانسان، الانسان الذي هو من أعظم الموجودات في عالم الوجود وله الفخر على كل الموجودات والذي لديه استعدادات وحاجات مادية ومعنوية مهمة وله نصيب في جوانب مختلفة من الحياة.

بالاضافة الى ذلك يجب أن نعرف الحقوق وانواعها من فردية، اجتماعية، سياسية، عاطيفة وأخلاقية وغيرها، ونكتشف طرق الاجراء والعمل بها.

قال رسول الله ﷺ:

«لِكُلِّ شَيءٍ دَعامَة، وَدَعامَةُ هذَا الدّين الفِقهُ، وَالفَقيه الواحِد أَشَدُ عَلَى الشَّيطانِ مِنْ أَلفِ عابِدٍ»(١)

المسئولية الثانية

والمسئولية المهمة التي على عاتقنا هي رعاية حقوق الغير في السلوك والعمل، على أن تكون الحقوق في المجتمع هي الحاكم ويكون الجميع جادّين في العمل بها ويراعونها، وبصورة كلية السياسة الاسلامية تعنى تدبير وانجاز الامور على اساس العلم والاطلاع والعدالة الاجراء الحقوق والعمل بها.

مثلما قيل في الرواية: سال شخص الامام حسن المجتبى عليه السلام: ما هي السياسة؟

فأجاب الامام عليه السلام: «هيَ أَنْ تُراعِي حُقُوقَ الله وحُقُوق الأحْياءِ وَحُقُوقَ الأمْواتِ»(٢)

الكتاب الحالي

في هذا الكتاب تم تحقيق ودراسة في البحث المهم «حقوق الانسان» بصورة شاملة وسعينا لتكون المسائل واضحة وقابلة للفهم لعامة الناس حتى يستطيع الجميع الاستفادة منها.

وقد نُظم الكتاب على اربعة ابواب وهم:

الباب الاول: عظمة وكرامة الانسان في الاسلام.

الباب الثاني: مفهوم ومعنى الحقوق، أهمية الحقوق وتأكيد الاسلام على رعايتها وانواع الحقوق.

الباب الثالث: توضيح اثني عشر موضوع من مواضيع الحقوق الاسلامية على ذكر المثال.

الباب الرابع: المبارزة مع الظلم وضد سياسـات الاستعمار، المقارنة بين لائحة ونظام حقوق البشر والحقوق في الاسلام وقصص من التاريخ وقادة الاسلام بخصوص رعاية الحقوق.

نتمنـى أن يكـون هذا الكتاب قد أعطانا صـورة واضحة عن الحقوق الاسـلامية ويكون قد عرّفنا بالمسئوليات الحقوقية المهمة في الاسلام ويوفقنا في اجرائها.

السيد أبو القاسم الديباجي

الباب الاول

عظمة وكرامة الإنسان في الاسلام

أمر الملائكة بالسجود لآدمعليه السلام

يعتبر الإنسان أضل موجود إلهي من بين الموجودات التي خلقها الله، حقا أن وجود الانسان يعتبر معجزة كاملة وجوهرة ليس لها نظير، وفخر كل الموجودات.

عندما خلق الله آدمعليه السلام بعنوان أول انسان ونفخ فيه من روحه، أعلن لكل الملائكة بان اسجدوا لآدم بمعنى أنهم يسجدون شكراً لله لاحترام وعظمة مقام الانسان ويشكرون الله على خلق مثل هذا الموجود الثمين.

وقد اطاعت الملائكة - ما عدا ابليس - أمر الله كما وردت في الآية رقم ٣٤ من سورة البقرة والآيات الاخرى التي نقرأها :

﴿وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ﴾

بالرغم من أن الملائكة هي موجودات نورانية وهم دائماً مطيعون لله ولا يعصون أمر الله أبداً، ولكن مقام الانسان أعلى منهم وبأمر من الله يجب على الملائكة أن يسجدوا له تجليلاً لمقام الانسان سجدة شكر لله لخلق مثل هذا الموجود العظيم.

الانسان خليفة الله في الارض

نفهم من الآيات ٣٠ الى ٣٣ في سورة البقرة أن الانسان بسبب الاستعدادات والابتكارات العجيبة التي مُزجت في وجوده وصل الى المقام الذي سُـمّي بخليفة الله في الارض وأصبح ممثل لله في الارض.

وسر هذا المقام هو علم التكامل ومقتضياته والاستعداد الذي وُضع في تكوين الانسان.

لتوضيح هذه المسألة، في البداية نذكر هذه الآيات ثم نتطرق الى شرح مختصر لها وبالتالي نبين عظمة مقام الانسان في نظر القرآن.

ونقرأ في سورة البقرة الآيات من ٣٠ إلى ٣٣ :

﴿وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ * وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾

شرح موجز ومختصر

نستفيد من الآيات المذكورة بخصوص كرامة الانسان المسائل التالية:

١ - ان الانسان هو خليفة الله الدائم في الارض.

٢ - ان الانسان هو من أشرف المخلوقات وجدير بمقام خليفة الله.

٣ - أن علوم الملائكة محدودة بالنسبة الى علوم الانسان.

٤ - صحيح أن الانسان أحياناً يذب ويفسد، ولكن في التحكيم يجب الأخذ بعين الاعتبار كل جوانب الخير والشر ومن ثم التحكيم بها، ويجب ألا يُسرع في التحكيم.

ولو كانت الملائكة قد نظرت الى الجوانب الايجابية لوجود الانسان التي هي سبب لآثار جديرة ومهمة لما سألت واعترضت.

٥ - أصبح الانسان خليفة الله بسبب جوانبه الايجابية ولكن اذا نظرنا الى الجوانب السلبية لدى الانسان لرأيناه لا يليق فقط بخلافة الله بل يصبح أضلّ وأذل وأوضع من الحيوانات مثلما نقرأ في سورة الاعراف، الآية رقم ١٧٩:

﴿أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾

٦ - كانت الملائكة تتصور أنها هي خليفة الله لأنهم كانوا في عبادة مستمرة، ولكن عندما علّم الله آدم جميع أسرار وحقائق الوجود وجعله لائق بأخذ كل العلوم والاسرار، أخبر الملائكة بمقام ومكانة الانسان وعلمت بأن مقام الانسان أعلى من مقامهم.

وبعبارة أوضح، كانت اللملائكة عبادات أكثر، فبسبب ذلك تصوّروا أنهم الافضل لمقام خليفة الله، ولكنهم ادركوا من تعليم الله بأن آدمعليه السلام أعلى منزلة منهم من الناحية العلمية وأن مقام خليفة الله

مرتبط بالعلم أكثر من العبادة لذلك أقرّوا بالتالي:

﴿سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

النتيجة والخلاصة

١ - أن مقام الانسان أعلى من مقام الملائكة، وقد جعله في مقام خليفة الله لانه منح الانسن العلم والواسع والاستعداد لاكتساب جيع العلوم وأسرار الوجود.

وأمر الملائكة بالسجدة تجليلاً وتقديراً لآدم عليه السلام الذ هو نموذج للانسان وبهذه الطريقة يظهرون شكرهم لله.

٢ - أن الانسان لديه مقام عظيم ونتيجة لذلك ويقينا من نظر الحقوق ومسئولياتها سيكون لديه قابلية لرعاية أعلى وأفضل مزايا الحقوق.

تاج كرامة الانسان

من احدى الآيات التي تدل بوضوح على أفضلية الانسان وكرامته وعظمته على الموجودات الاخرى هي الآية ٧٠ من سورة الاسراء وتقرأ فيه:

﴿وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً﴾

في تفسير هذه الآية ذكر المفسرون عدة فروع مختلفة في مميزات البشر لبيان وتوضيح سبب كرامة الانسان، التي بسبب تلك المميزات كرّم الله الانسان ووضع على رأسه تاج الكرامة.

خلاة قولهم هي أن الانسان لديه مميزات وخصائص كثيرة بالنسبة الى سائر المخلوقات الت كل واحدة منها أعلى شأنا وأرفع قدراً وأكثر جاذبية عن الأخرى.

بالاضافة الى ذلك ان لدى الانسان مميزات جسمية فإنه يمتلك ايضا مميزات روحية وتلك الروح هي مجموعة من الاستعدادات العالية وقدرات كثيرة لطي طريق التكامل اللانهائي، لذلك جعل الله للانسان كرامة وأفضلية عن سائر المخلوقات.

ما الفرق بين كلمة «كرّمنا» وكلمة «فضّلنا» في الآية السابقة؟

على حسب قول البعض فأن كلمة «كرّمنا» تشير الى المواهب التي مُنحت للانسان من ذات الله سبحانه وتعالى بينما كلمة «فضّلنا» تشير الى الفضائل التي اكتسبها الانسان نتيجة التوفيق من رب

العالمين، أو على تفسير آخر أن كلمة «كرّمنا» تشير الى المميزات المادية التي منحها الله للبشر وكلمة «فضّلنا» تشير الى المميزات المعنوية التي منحها الله للانسان.

ومعنى كلمة «كثير» في الآية السابقة هي بمعنى جميع، وعلى حسب قول العلامة طبرسي صاحب تفسير مجمع البيان، وعلى حسب قول القرآن وأحاديث العرب وتستعمل بمعنى «جميع».

بعد التوجه لتلك الآيات الخاصة بخلق آدم عليه السلام وسجود وخضوع الملائكة له و.... والتي شرحناها من قبل، لا يبقى شك في أن الانسان أعلى وأفضل من الملائكة، وهذه قرينة قرآنية بان كلمة الكثير في الآية السابقة تعنى الجميع.

من إحدى الأمور التي استعملت فيها هذه الكلمة بمعنى الجميع في القرآن هي الآية رقم ٢٢٣ من سورة الشعراء والتي تختص بالشياطين:

﴿وَ أَكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ﴾

من المعروف أن جميع الشياطين كاذبون وليس الكثير منهم، فلهذا كلمة الكثير متداولة بمعنى الجميع.

النتيجة والخلاصة

إن الانسان بالذات أفضل من المخلوقات وحتى الملائكة بسبب مقتضيات الرشد والرقي والاستعدادات التي يمتلكها، وبعبارة أخرى الانسان بالقوة والاستعدات أفضل من المخلوقات، مع أنه ممكن بالفعل أن يصبح الانسان أضلّ وأوضح من الحيوانات نتيجة لاطاعته للاهواء النفسية.

مقولة الدكتور آلكسيس كارل الفرنسي

لاكمال هذه المسألة، نلتفت الى قول الدكتور «ألكسيس كارل الفيزيائي والبيولوجي الفرنسي (١٨٧٣-١٩٤٤م)، الذي كتب في كتابه «الانسان موجود مجهول» : «أن لدى جسم الانسان صلابة وثبات ومهارة خارقة للعادة، وقادر لتحمل ومقاومة أي نوع من الحوادث، وأيضاً في مقابل الجوع وقلة النوم والتعب والارهاق والحزن الشديد والألم والمرض، والعذاب والعمل الكثير وحفظ الموازنة والتعادل بين جسمه وروحه، يصدر منه تحمل عجيب حتى يمكن أن نقول أن الانسان أكثر دواما وأكثر سعيا من جميع الحيوانات، ومع هذه القدرة الجسمية والفكرية المبتكرة قادر على أن يبتكر ويخلق كل الامور والحرق والتمدن الحالي وقادر على أن يثبت أفضليته على جميع الكائنات».[٣]

اجابة سؤال

هنا يطرح هذا السؤال: إذا الانسان كان من أفضل المخلوقات فلماذا في بعض الآيات القرآنية تبين عدم أفضليّته مثلما نقرأ في الآية رقم ٢٨ من سورة النساء:

﴿إِنَّ الإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾

الجواب: مع التوجه الى الآيات التي تسبق تلك الآية والتي تأتي بعدها افهم ان الانسان من الناحية الاكتسابية وليس الذتية – ما عدا دين الله والمذهب وبرامج الرسل – خُلق ضعيفاً وحريصاً وقيل التحمل ولكن في ضوء مذهب الرسل يستطيع أن يُبعد عن نفسه هذه النواقص الاكتسابية.

توضيح: في الآية الاولى (النساء، ٢٨) نقرأ:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَ خُلِقَ الإِنْسانُ ضَعِيفاً﴾

يعني أن الانسان في مقابل طوفان الغرائز يحتاج الى الزواج، حتى يكون الزواج جواب ايجابي لاشباع الغريزة الجنسية، والانسان من هذه الناحية بدون منهج الزواج – الذي هو جزء من الدين ومذهب الرسل – ضعيف ونوعا ما لا يستطيع أن يُسيطر على نفسه ولكن بالزواج يزول هذه العيب وهذه النقص.

وأيضا بالنسبة للآية التي تأتي بعدها – آية (٢٢) – نقرأ فيها:

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾

نتبين من هذه الآيات أنه اذا كان الانسان يحمي نفسه من العيوب تحت غطاء المناهج الدينية، فانه سوف يزول منه الجوانب السلبية وستنتصر فيه الجوانب الايجابية، وبناء على ذلك فان الانسان لديه الاستعداد لرفع موانع الكمال من طريقه والتقدم في ذلك باستخدامه الطرق الصحيحة والمناهج الهادفة.

جوانب أخرى لشخصية الانسان في القرآن والنتيجة

ذُكر في القرآن أن الله خلق كل شئ للانسان وسخَّر له كل شئ وتحت تصرفه مثلما نقرأ في الآية ١٣ من سورة الجاثية:

﴿وَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾

ونتبين من هذه الموهبة أن للانسان شخصية عظيمة القدر وعالية المنزلة واختصت المواهب المادية والمعنوية به.

ونقرأ في الآية ٣٨ من سورة التوبة الآتي: ﴿ أَ رَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا﴾

يعني أنك انسان والدنيا هي الدنيا وشخصيتك أعلى من الدنيا بكثير فلا تبع نفسك للدنيا ولا تُفني وتُفهي نفسك في قفص الدنيا.

على سبيل المثال، اذا كنت تمتلك سيارة جديدة ومن آخر الموديل والنظام فانك لن تقود بها الى الطريق الترابي وتقول انها من الظلم أن أقود هذه السيارة في هذا الطريق الترابي.

لقد جعلك الله من أفضل مخلوقاته، إذن أليس من الظلم أن تعدم نفسك في الطرق المنحرفة وفي الذنوب! ... فاعتبروا يا أولي الابصار.

إن الاستعمار ابتداءً يفشى الادمان والاعلام الغربي المنحط وأنواع الرذائل بين البشر ليغرس اشواكه فيهم ويتسلط عليهم، ثم بعد ذلك يجعلهم بكل سهولة تحت اطاعته.

عندما يصبح الانسان فارغاً من الداخل فانه سوف يظهر التعب في نفسه بصورة أنه يكون مستعد ليُسلم نفسه لأي رذيلة مثلما يتطرق القرآن الى ذلك عن فرعون وقومه:

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾

وتدل تلك الآية على أن المناهج الاستعمارية والاستثمارية لفرعون قد جعلت للناس شخصيات فارغة فتصوروا أنهم أذله وحمقى، لذلك ساروا في طريق فرعون الظالم، ولو كانوا لا يحسّون بالحقارة وعرفوا أنفسهم وشخصيتهم لما فدوا أنفسهم في سبيل حياة فرعون الملوّثة ولما قبدوا ورضوا بعبادة أحدٍ سوى الله سبحانه وتعالى.

أفضلية الإنسان من وجهة نظر الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام

وردت أقوال كثيرة في أحاديث الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام بخصوص كرامة وعظمة الإنسان التي هي مدهشة حقا وهنا نلفت انتباهكم لبعض النماذج لتلك الأقوال:

١ - قال رسول الله ﷺ: قال الله سبحانه وتعالى في شأن الإنسان:

﴿خَلَقْتُ الْاَشْياءَ لِاَجْلِك، وَخَلَقْتُكَ لِأَجْلِي﴾[٤].

٢ - وقال أيضاً:

﴿مَا مِنْ شَيءٍ أَكْرَمُ عَلَى الله مِنْ اِبْنَ آدَم﴾[٥].

٣ - قال رسول الله ﷺ: في ليلة المعراج أقيمت صلاة الجماعة من الملائكة في السماء، أذّن جبرئيل وأقام ثم قال للرسول ﷺ: «تقدَّم للامام حتى نقتدي بك نحن الملائكة».

قال رسول الله ﷺ: «تقدَّم أنت للامام».

قال جبرئيل: «إنّا لا نَتَقَدَّم الآدَميِّين مُنْذُ أُمِرنَا بالسُّجودِ لِآدَم عليه السلام»[٦].

٤ - قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خلق الله موجودات العالم على ثلاثة أشكال وهم الملائكة والحيوانات والانسان، أما الملائكة فلديهم عقل بدون الشهوة والغضب، والحيوانات هي مجموعة من الشهوة والغضب وليس لديهم عقل، ولكن الانسان هو مجموعة من كلاهما حتى يغلب كل منهما الآخر، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم»[٧].

٥ - وقال أيضاً: «إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها»[٨].

٦ - وقال أيضاً: «قبيح بذي العقل أن يكون بهيمة، وقد أمكنه أن يكون إنساناً»[٩].

٧ - وقال أيضاً: «عجبت لمن ينشد ضالته وقد أضل نفسه فلا يطلبها»[١٠].

٨ - وقال أيضاً: «العارف من عرف نفسه فاعتقها ونزّهها عن كل ما يبعدها ويوبقها».(١١)

٩ - وقال أيضاً: «ولبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً».(١٢)

النتيجة والخلاصة

والنتيجة هي أن الانسان إذا عرف شخصيته، فستعصمه تلك المعرفة من الأخطاء والذنوب والانحراف ويتجه صوب العمل بالوظائف والحقوق.

على سبيل المثال، إذا كسر طفل في البيت كأس من زجاج، فإنك تغضب منه وتضرب على يده لأنه كسره، ولكن عندما يكسر صحناً قيّماً عند الضيوف، فانك في منتهى البرودة تقول له: فِداك يا بُني.

في هذه الأثناء توجّهت لشخصيتك عند الضيوف ولهذا السبب تحكّمت في نفسك.

تفهم من المسائل السابقة أن الانسان من بين الموجودات لديه كرامة وشخصية استثنائية وخارقة للعادة، ولهذا يجب أن يعرف نفسه ويكتشفها ولا يزعم أنه موجود مثل سائر الموجودات مثلما قال عليّ عليه السلام:

أَتَزْعَمُ أَنَّكَ جِرْمٌ ثَقيلٌ
وفيكَ انْطَوَى العَالَمُ الأكبَرُ

وعلى هذا الاساس يجب على الانسان أن يعرف قدره ومنزلته، وبرعاية الموازين والحقوق الفطرية والالهية يؤدي حق الانسان الذي يتناسب ويُلائم شخصيته العظيمة، ذلك الانسان الذي أقسم الله بروحه وشخصيته المعنوية فقال: ﴿وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها﴾.(١٣)

وعلى هذا الاساس يقول امير المؤمنين عليّ عليه السلام في مقطع من احدى خطبه: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَكْرَمَكُم بِدينِهِ، وَخَلَقَكُم لِعِبادَتِهِ فَانْصِبُوا أَنفُسَكُم في أداءِ حَقِّهِ».(١٤)

وقال أيضاً: «مَنْ كَرُمَتْ عَلَيهِ نَفْسُهُ لَمْ يُهِنهَا بالمَعصِيَةِ».(١٥)

الانسان الكامل في القرآن

ملاحظة

هناك موضوعين يُطرح في بحث معرفة الانسان وهما:

أولاً: أفضلية ذات وصنع وجود الانسان على سائر الموجودات وشخصيته وكرامته الذاتية التي ذكرناها من قبل.

ثانياً: الشخصية الاكتسابية للانسان بمعنى أنه لديه اللياقة والاستعداد لتلقي ةتحصيل الصفات العالية الانسانية والوصول إلى مقامات عظيمة وثمينة وكريمة وطي مدارج الكمال الانساني.

يعتبر هذين الموضوعين كجناحين يطير بهما الانسان ويصل الى الملكوت الأعلى ولو يحصل الانسان على الموضوع الثاني الذي هو مكمّل للانسان سوف يستقر في صراط التكامل الانساني وسيصل الى هدف خلق الانسان، وبهذه الصورة سيعطي أهمية للحقوق المختلفة للانسان ويرتدي لباس العمل لتحقيق الحقوق الفردية والاجتماعية.

أربعة عشر خاصية للانسان الكامل في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم أربعة عشر خاصية للانسان الكامل والممتاز الذي يُلقب بـ «عِبادُ الرَّحمَنِ» والتي وردت في الآيات من ٦٣ إلى ٧٦ في سورة الفرقان وهي الآتي:

﴿وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً * وَ الَّذينَ يَبيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِياماً * وَ الَّذينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً * إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً * وَ الَّذينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً * وَ الَّذينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَ لا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ

ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً * يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً * إِلاَّ مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلاً صالِحاً فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً * وَ مَنْ تابَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتاباً * وَ الَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً * وَ الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وَ عُمْياناً * وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً * أُوْلئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا وَ يُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَ سَلاماً * خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً﴾.

وخواص عباد الرحمن هي كالآتي:

١ – يمسون على الارض هوناً وبدون تكبر.

٢ – إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.

٣ – يبيتون لربهم سجّداً وقياماً.

٤ – يقولون ربنا اصرف عنّا عذاب جهنم، إنّ عذابها كان غراماً، إنها ساءت مستقراً ومقاماً.

٥ – اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكانوا بين ذلك قواماً.

٦ – لا يدعون مع الله إلهاً آخر.

٧ – لا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق.

٨ – لا يزنون.

٩ – لا يشهدون الزور.

١٠ – إذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً.

١١ – إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً.

١٢ – يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا قرة أعين.

١٣ – ومن ذرياتنا قرة أيعن.

١٤ – يقولون اجعلنا للمتّقين إماماً.

شرح مختصر: نفهم من الآيات السابقة أن الانسان الكامل يمتلك أربعة عشر خاصية وميزة كما ذكرنا، التي كل منها أساس ومن مقتضيات التكامل لبناء الانسان، وإذا كانت للانسان حقاً مثل تلك الخصال والقيم الانسانية العالية بالاكتساب، فانه بالتأكيد سيتهيأ لرعاية الحقوق الانسانية.

النتيجة: عندما نريد أن نبني المجتمع المرغوب والممتاز، فاننا في البداية يجب أن نبني الانسان على أساس صحيح، ليس فقط من ناحية الحقوق وإنما يجب على الانسان في البداية أن يكتشف نفسه ويعرف كرامة نفسه ومن ثّمّ يُقدم على اكتساب خصال التكامل حتى يستطيع في مرحلة الاجراء وفي

ميـدان العمـل رعاية الحقوق الانسـانية، وبناء على ذلك فـان بالإضافة الى معرفـة الحقوق، ليس فقط بناء الفرد والمجتمع ضروري لرعاية الحقوق وإنما أسـاس للعمل بها، حتى يسـتطيع أن يجد الانسان في ضوء القيم هويته الاصلية وحقوقه الانسـانية لأن الفضائل والقيم هم البناء الأسـاسي والأصلي ومن مقتضيات حركة التكامل والنمو المفقود لدى الانسان.

(نهاية الباب الاول)

الباب الثاني

دراسة في الحقوق الاسلامية

ملاحظة

لمعرفة الحقوق يجب أن نجزئها وتحللها ومن بعد ذلك نصل الى النتيجة المطلوبة.

مفهوم ومعنى الحقوق في اللغة والقرآن

كلمة الحقوق هي جمع لكلمة «حق» وهي كلمة عربية وتعني الصدق، الصحيح، العمل الذي يجب أن يُنجز ويُؤدي وأيضاً بمعنى الوظيفة، الفائدة، نصيب وسهم، العدالة، اليقين، أحد أسماء الله المقدس، الملكية والمال وتأتي أيضاً بمعني الحقيقة والواجب.[١٦]

التوضيح: عندما تظهر الحياة الاجتماعية على ساس التعاون والمعايشة فإن مسألة حدود المسئوليات وتعيين وظائف أفراد المجتمع لكل منهما الآخر تحدث وتحصل، وخصوصاً مع التوجه للشخص الذي يملك صفة الانانية والطغيان التي تجعل الأفراد الديكاتورية لتجاوز حقوق الآخرين بعنوان «الحق لمن غلب» وتوجب الهرج والمرج الاجتماعي، ومن هنا يُفتح باب «القانون» في المجتمع أفراد المجتمع، ويوضح حدود وظائف كل فرد مقابل الآخر.

وعلى أساس التوضيح السابق نستطيع أن تقول أن الحقوق هي: «مجموعة من القواعد والقوانين الواجبة إجرائها التي وُضعت لحفظ نظام المجتمع وتنظيم روابط الأفراد والأمم واصلاح المجتمع».[١٧]

وبناء على ذلك فإن الحقوق هي القانون والحدود الإلهية لتنظيم المجتمع الذي وصي به القرآن مثلما نقرأ في الآية رقم (١٤) من سورة النساء بعد بيان حقوق وقانون الميراث لمختلف الورثة:

﴿وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيها وَ لَهُ عَذابٌ مُهِينٌ﴾

وكذلك نقرأ في الآية رقم (١٨٧) من سورة البقرة:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوها﴾

وفي الآية (٢٢٩) من سورة البقرة نقرأ الآتي:

﴿وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

الحاجة للحقوق ورعايتها

مثلما قال الحكماء في القديم: «الانسانُ مَدَنِيٌّ بِالطَّبْعِ»، ولأن الإنسان متعلق بنفسه فإنه يريد أن يستفيد أكثر من مواهب الحياة ومن كل عامل مؤثر في المعيشة بصورة أفضل، ولكنه يرى أنه مثلما الطفل لا يقدر أن يستمر في الحياة بدون مساعدة الأم والأب، فإنه أيضاً لا يستطيع لوحده الخوض في الحرب مع مشاكل الحياة وبدون التعاون مع أمثال جنسه لا يستطيع أن يحقق حاجاته الجسمية والروحية ويصل إلى الكمال المطلوب، ولهذا فهو يتآلف مع الحياة الاجتماعية التعاونية.

يعلم الإنسان جيداً أنه حتى يمسك بزمام قدرات الطبيعة المتمردة بصورة أفضل ويرفع بشكل صحيح الموانع والمشاكل التي تظهر في الطريق، لا يوجد لديه منفذ غير أنه ينسحب من الحياة الانفرادية ويتآلف مع الحياة الاجتماعية ويتبادل بنتائج عمله وسعيه مع نتائج الآخرين، وكل فرد يقبل مسئولية معينة حسب استعداده وحسب استطاعته ويحل مشكلة معينة، أحدهم فلاح، والآخر نسّاج والثالث حداد والرابع خياط والخامس صانع أحذية وهكذا ...

مثلما قالوا «كل شيء يعرفها الجميع».

عندما تستقر الروابط الاجتماعية بين البشر فإن صفة جلب المنافع والطغيان تحرّض بعضهم للنزاع مع الآخرين لجلب فائدة أكثر، ومن هنا فإن القانون والحكومة الصحيحة لازمة لحفظ المجتمع من النزاع والتشتت والتفرق، ويستفاد أكثر من ذاك القانون في مجال حقوق الانسان وحدود الحرية.

هذه الحقوق هي تلك الحدود والحقوق التي اذا تمت مراعاتها فستجعل قوام المجتمع محكم وقوي.

ولها السبب يحتاج الانسان الى القانون والحقوق، ويجب معرفة حدود الحقوق ومراعاتها لحفظ المجتمع وإقامة العدالة.

الحقوق الطبيعية والموضوعة

قسّم علماء علم الحقوق بصورة كلية الحقوق الى قسمين:

١ - الحقوق الطبيعية والفطرية.

٢ - الحقوق الموضوعة.

أولاً: الحقوق الطبيعية والفطرية

الحقـوق الطبيعيـة والفطريـة هي مجموعة مـن القواعد التي وُجـدت من الطبيعة وخلقة الانسـان والمجتمع، وبموجبها تعيّنت إختيارات ووظائف الأرفاد مثل الحرية الفردية، المساواة في القانون، حق التملـك، الأموال المنقولة والغير المنقولة، حرية العقائد المذهبية والسياسـية والفلسـفية، حرية التعبير ونظير تلك الحقوق.

وبعقيـدة المدافعين عن الحقوق الطبيعية فبسـبب أن الطبيعة هي التـي وضعت هذه القوانين وهذه المجموعة من الحقوق وأيضاً سُنّة الخلق دائمية ولا تخت أبداً، ومن هذا المنطلق فإن هذه القوانين نافذة ولازمـة الاجـراء في كل الازمنـة وبخصـوص كل الاقوام والأمـم، وموافقة مع مصالـح ومنافع نوع البشر ولن تسلب من الانسان أو يظهر نقص فيها.

بُرزت تلك النظرية - نظرية الحقوق الفطرية والطبيعية - ابتداءً من فلاسـفة اليونان مثل سـقراط، أفلاطون وأرسطو ثم من بعد ذلك قام فلاسفة الروم مثل سيسرون، البين، بل، بلين وفلورانتن بشرح ونـشر تلك الحقوق، وفي القرن السـابع عـشر والثامن عشر قام بإحياء تلك الحقـوق الكُتاب والعلماء مثل هوكو، كروسـيوس، هوبس، جـون لك، بوفندرُف، كانت، منتسـكيو، وُلتر وبالذات جان جاك روسو.[١٨]

ثانياً: الحقوق الموضوعة

الحقوق الموضوعة هي مجموعة من القواعد التي وضعت من قبل أفراد البشر مثل كثير من الحقوق الإدارية والمدنية والجزائية والحقوق التجارية والدولية و ... وغيرها.

تتطابق الحقوق الموضوعة مع الاوضاع والأحوال الزمنية والخصوصيات والشروط المكانية، ولأن الشرائط والخصوصيات الزمنية غير ثابتة وغير متشابهة ومختلفة فان الحقوق الموضوعة قابله للدوام والاجراء فقط في حال بقاء تلك الشرائط والخصوصيات المذكورة.

وبهذه الصورة فإن الحقوق الموضوعة هي عكس الحقوق الطبيعية ليست دائمة وليست عامة وقوانينها قابلة للإجراء في مدة محدودة وبخصوص شعب وأمّة معينة.

من هو واضع للحقوق؟

هنا يُطرح هذا السؤال من الذي يجب أن يضع قانون الحقوق؟ ومثل هذا السؤال على كل القوانين، من هو واضع القانون؟

بعض الذين لا يعتقدون بالدين ومذهب الرسل يقولون: «يستطيع البشر بمساعدة العلم والعقل والضمير وضع حقوق مناسبة للمجتمع.»[١٩]

ولكن بالتأكيد هذه الحقوق التي وضعت على هذا الاساس لن تكون كاملة وجامعة وثابته لأن علم الانسان دائماً في حال التغيير والتحوّل والنمو، وأيضاً العقل والضمير صفات ليست ثابتة بل شرائط الزمان والمكان وخصوصيات حياة الأفراد في الأزمنة والامكنة المختلفة لها تأثير في العقل والضمير، وليست كل عقل وضمير في كل مكان مساوٍ في التحكيم. مثلاً قتل النفس ودفن البنات أحياء من أقبح الأعمال عندنا نحن المتعلمين والمتربين بتربية خاصة، في حين أننا نعلم أن هذا العمل القبيح كان مفضلً في أيام الجاهلية في السعودية، وتضحية الشباب وقربانهم للأصنام كانت محسوبة عبادة لديهم ولم تكن أبداً قبيحة.

والآن أيضاً في دنيا الغرب و ... لديهم أعمال التي هي ليست قبيحة بتاتاً بالنسبة لهم مع أنها من أقبح الأعمال مثل: الروابط الجنسية الحرة وحرق الأموات في معظم نقاط العالم وقتل الآباء والأمهات عديمة الفائدة أو قتل الأفراد الاخرى الضعيفة التي ليست لها فائدة و .... وغيرها.

يقول هربرت اسبنسر الفيلسوف الانكليزي: «داماراس» هي أفراد تقتل الأشخاص الذين وجودهم في المجتمع ليس لها فائدة أو الأشخاص الذين بسبب الشيخوخة أصيبوا بالهزال والضعف سواء والدهم أو والدتهم، ولذلك نشاهد مراراً الأبناء يقومون بخنق آبائهم وأمهاتهم المرضى.[٢٠]

ووصل الامر الى أن الفيلسوف الانكليزي المعروف «برتراند راسل» كتب في أحد مؤلفاته وتسمى بـ«في التربية»: «لماذا الآباء والامهات يصرّون على تغطية عورتهم أمام الأطفال؟ هذا الاصرار أصبح سبب لاحساس الأطفال بالفضولية، إذا لم يسعى الوالدين لتغطية العضو التناسلي لكانت الفضولية الكاذبة لدى الأطفال غير موجودة، يجب على الوالدين أن يكشفوا عورتهم للأطفال حتى يعرفوا من الاول كل شيء موجود.»

ثم يضيف: «على الاقل في بعض الأوقات مثلاً في الاسبوع مرة واحدة يخلعوا لباسهم ويكشفون عورتهم أمام مرأى الأطفال.»[٢١]

وهناك أمثلة لانحراف العقل وقابلية تغيير الضمير أكثر من أن نبين كلها في هذا الفصل.

نستنتج من المسائل السابقة أن الحقوق والقوانين يجب أن تُشرّع من قبل الله سبحانه وتعالى خالق الكون والعالم، مثلما تعتقد به أتباع الأديان ومذهب الرسل، لأن خالق البشر لديه علم بصورة مطلقة عن الجميع وكل احتياجات وعوامل سعادة وشقاوة البشر.

وهو يعلم أية حقوق يحتاجها البشر ولازمة وثابتة وتمنح الحياة والسعادة لهم، وهو الذي دائماً ثابت، وشرائط الزمان والمكان لا تؤثر شيء في وجوده، وقوانينه ملائمة لحقيقة وجود الانسان ومع فطرته وخلقته، وعلى هذا الأساس فإن المشرّع الوحيد للحقوق الكاملة هو ذات خالق العالم والكون الطاهر.

مواضع استعمال كلمة «الحق» في القرآن

إن مواضع استعمال كلمة الحق في القرآن الكريم مختلفة، وبصورة كلية يأتي الحق في مقابل الباطل والضلال في القرآن، أينما وُجد الحق، لم يوجد الباطل والضلال، وأينما وُجد الباطل والضلال، زال الحق بنفس النسبة مثلما نقرأ في الآية رقم (٣٢) من سورة يونس:

﴿فَذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾

وفي الآية رقم (٧-٨) من سورة الأنفال نقرأ:

﴿وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَ يَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْباطِلَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾

وقد جاء في القرآن ما يقارب (٢٦٠) موضع عن الحق والذي يأتي أصله من معنى الصدق والثبات، ثم يعرفنا بهذا الأصل في فروع مختلفة والتي ترتبط بالصدق وضد الباطل.

حديث قصير: ويذكر لنا القرآن بنظرى جامعة وكلية عن الحق ودعوة البشر الى الحق في الآية رقم (٣٥) من سورة يونس:

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

وفي آية أخرى يقول:

﴿وَ لا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ﴾

تجليات الحق في أحاديث الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام

ويأتي أيضاً الحق في أحاديث الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام بمعنى الصدق، الصحيح والثبات في مقابل

الباطل والضلال ويأتي بمعنى الفرع المختلفة للصدق. وهنا نلفت نظركم إلى بعض من تلك الأحاديث.

قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ حَتّى يُثْبتَ لَهُ حَقَّهُ، ثَبَّتَ اللهُ تعالى قَدَمَيْهِ يُوْمَ تَزِلُّ الأَقدامُ.»[٢٢]

ومن أقوال الامام السجّاد عليه السلام:

«طُوبى لِمَنْ أعانَهُ اللهُ على قَضاءِ ما أوجبَ عَلَيْهِ مِن حُقوقِهِ، وَوَفَّقَهُ وَسَدَّدَهُ.»[٢٣]

وقال أيضاً: «إعلَمْ رَحِمَكَ اللهُ، أَنَّ لله عَلَيْكَ حُقُوقاً مُحيطةٌ لَكَ في كُلِّ حَرَكَةٍ تَحَرَّكْتَها أو سَكَنَةٍ سَكَنتَها أو مَنْزِلَةً نَزَلتَها، أو جارِحَةٍ قَلَبتَها وآلَةٍ تَصَرَّفتَ بها، بَعضَها أكْبَرُ من بَعضٍ».[٢٤]

قال الامام الصادق عليه السلام: «ما عُبِدَ اللهُ بِشَيءٍ أَفْضَلُ مِنْ أداءِ حَقِّ المُؤمِنِ».[٢٥]

وقال أيضاً: «مَنْ عَظَّمَ دِينَ الله عَظَّمَ حَقَّ إخوانهِ، وَمَن اسْتَخَفَّ بِدينِهِ اِستَخَفَّ بِإخوانِهِ».[٢٦]

قال الامام حسن العسكري عليه السلام:

«أَعْرِفِ النّاسَ بِحُقُوقِ إخوانِهِ، وَأَشَدُّهُمْ قَضاءً لَها أعْظَمُهُمْ عِنْدَ الله شَأناً».[٢٧]

ويقول الامام السجّاد عليه السلام في نموذج من أدعيته عن العفو والشهامَة والمروءة والتي هي من أحد فروع الحقوق:

«اللّهُمَّ وَأيُّما عَبدٍ نالَ مِنّي ما حَظَرتَ عَلَيهِ، وانتَهَكَ مِنّي ما حَجَرْتَ عَلَيْهِ، فَمَضى بِظُلامَتي مَيِّتاً، أو حَصَلْتَ لي قِبَلَهُ حيّاً، فاغفِرْ لَهُ ما أَلَمَّ بِهِ مِنّي، واعفُ لّهُ عمّا مَضى بِظُلامَتي مَيِّتاً، أو حَصَلْتَ لي قِبَلَهُ حيّاً، فاغفِرْ لَهُ ما أَلَمَّ بِهِ مِنّي، واعفُ لّهُ عمّا أَدْبَرَ بِهِ عَنّي، ولا تَقِفْهُ على ما ارتَكَبَ فِيَّ ولا تكشِفْهُ عمّا اكتسب بي، واجعَل ما سَمَحتُ بِهِ مِنَ العَفْوِ عَنهم، وتبرَّعتُ به من الصَّدقةِ عليهم أزكى صدقات المُتَصدِّقينَ وأعلى صِلاتِ المُتقرِّبينَ».[٢٨]

أهمية الحقوق وتأكيد الاسلام على رعايتها

أكّد الاسلام واهتم كثيراً على رعاية حقوق الانسان في أبعادها المختلفة حيث إذا لم يُراعى الحقوق لم يكن للاسلام وجود، والمجتمع بدون الحقوق يساوي المجتمع بدون الاسلام وبهذا الخصوص توجهوا الى هذه الروايات:

قال أمير المؤمنين في أحد خطبه: «فالحقُ أوسعُ الأشياء في التَّواصُفِ، وأَضيقَها في التناصُفِ».[٢٩]

وقال أيضاً: «ولا تُضَيِّعَنَّ حقَّ أخيكَ إتكالاً على ما بينكَ وبينهُ فإنهُ ليس لك بأخٍ مَنْ أضعْتَ حقَّهُ».[٣٠]

يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في حديث آخر: «خُضِ الغمراتِ الى الحقِّ حيثُ كانَ».[٣١]

وقال أيضاً: «وفضَّلَ حُرمَةَ المُسلمِ على الحُرَمِ كُلِّها، وَشَدَّ بالإخلاصِ والتوحيد حُقوقَ المسلمينَ في معاقِدِها».[٣٢]

إن للحقوق في الاسلام مكانة عالية جداً ومهمة جداً إلى درجة أن الامام الحسين عليه السلام بيّن لنا فلسفة قيامه على أساس ذلك وقال:

«ألا تَرَونَ إلى الحقِّ لا يُعمَلُ بِهِ، وإلى الباطِلِ لا يُتناهى عنْهُ، لِيَرغَبُ المُؤمِنُ في لِقاءِ ربِّه مُحِقاً، فَإنّي لا أرى الموتَ إلاّ سعادةً، والحياةَ مع الظالمين إلا برماً».[٣٣]

ولقد كتب الامام الحسين عليه السلام من ضمن كتابه الى كبار البصرة:

«سلامٌ عليكُمُ. أما بعدُ: فإني أدعوكُمُ إلى إحياءِ معالِمِ الحقّ، وإماتةِ البِدَعِ، فإنْ تُجيبُوا تَهتدُوا سُبُلَ الرَّشادِ».[٣٤]

إن لرعاية الحقوق في الاسلام أهمية بالغة إلى درجة أن أئمة أهل البيت عليهم السلام يلتمسون العذر من الله في أدعيتهم إذا كانوا قد أهملوا في أداء الحقوق ويطلبون منه العفو وهنا نلفت نظركم إلى مقطع من أحد أدعية الامام السجّاد عليه السلام والتي تبين بعض حقوق المسلمين:

«اللهم إنّي اعتذِرُ إليكَ منْ مَظلومٍ ظُلِمَ بحضرتي فلم أنصُرَهُ، ومِن معروفٍ أُسديَ إليَّ فلم أشكُرْهُ، ومِن مسيءٍ إعتذرَ فلم أعذِرهُ، ومن ذي فاقةٍ سألني فلمْ أُؤْثِرْهُ، ومِنْ حقِّ ذي حقٍّ لزِمني لمُؤمنٍ فلم أُوَفِّرهُ، ومِنْ عيبِ مُؤمنٍ ظهرَ لي فَلَمْ أستُرْهُ».[٣٥]

في يوم وقف أحد الأئمة (من المحتمل أن يكون الامام الصادق عليه السلام أمام الكعبة وأشار إلى الكعبة وقال:

«ما أعظَمَ حقَّكَ يا كعبةُ، ووالله إنَّ حقَّ المُؤمِنِ لأعظَمُ من حقكَ».[٣٦]

هدف أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من التمسك بزمام الحكومة

بسبب أهمية الحقوق والمكانة الخاصة لرعايتها في الاسلام فقد كان الهدف من حكومة أمير المؤمنين هو إحقاق الحقوق والتصدي أمام التجاوزات في حقوق الناس، وبشأن هذا الموضوع يقول:

«أما والذي فَلَقَ الحبَّةَ، وبرأ النسمةَ، لولا حُضورُ الحاضِرِ، وقيامِ الحجَّةِ بوجودِ الناصرِ، وما أخذَ اللهُ على العُلماءِ ألاّ يُقارُّوا على كِظةِ ظالمٍ ولا سغَبِ مظلومٍ، لألَقيتُ حبلها على غارِبِها».[٣٧]

يقول عبدالله بن عباس: ذهبت إلى محضر عليّ عليه السلام فرأيته يخصف نعله القديم، فالتفت الي وقال: «ما قيمة هذا النعال؟»

قلت: «لا قيمة له».

قال «والله لِهِيَ أحبُّ إليَّ مِن إمرتِكُم، إلاّ أن أُقيمَ حقاً أو أدفَعَ باطلاً». [٣٨]

وفي ثـاني يوم من خلافته، قسّـم أمـوال بيت المال بصورة متسـاوية بين المسـلمين وأدّى حقوقهم، وكان جاداً في أخذ الحق وإعطائه لصاحبه حتى قال:

«واللهِ لَو وجدتُهُ قد تزوَّجَ به النساءُ، ومُلِكَ بِهِ الإماءَ لرَدَدتُهُ». [٣٩]

أنواع وأقسام الحقوق

يجب التوجه الى أن للحقوق في الاسلام أنواع وأقسام وفروع مختلفة ومتعددة مثل:

الحقـوق الفرديـة والاجتماعيـة، الحقوق التعاونيـة، الحقوق العلميـة والأدبية، الحقـوق العاطفية، الحقوق الاقتصادية والمالية، الحقوق النظامية، حقوق الأقرباء، حقوق الجيران، الحقوق المدنية، حقوق المرشـد والشـعب والنـاس والحاكم، حقوق الاقليـة المذهبية، الحقـوق الداخلية، الحقـوق الخارجية، حقـوق الصديـق، حقوق الغريـب والاجنبي، حقوق الضيـف والمضيف، حق الله، حـق الناس، حق الاحياء، حق الأموات، حقوق المؤمنين بعضهم لبعض ... [٤٠]

إن معرفة الحقوق وأدائها كل على حدة، حقاً صعبة جداً ومسئولية ثقيلة مثلما جاءت في الرواية:

يقول عبدالاعلى بن اعين، طلب مني بعض الاصدقاء من ضمن كتاب أن أسأل الامام الصادقعليه السلام عن حقوق المسلمين لبعضهم البعض، ذهبت إلى محضر الامام الصادقعليه السلام وسألته عن ذلك، فلم يجب عـليّ الامامعليه السلام، وعند الـوداع ذهبت اليه أيضاً وقلت له: انك لم تجبني على سـؤالي؟ فقال: «إنّي أخافُ أن تّكفُـروا، إنَّ أشـدَّ ما افترضَ الله على خلقِهِ ثلاثاً: إنصافَ المرءِ من نفسـهِ حتّـى لا يَرضى لأخيه مِنْ نفسهِ إلا بما يَرضى لنفسه منهُ، ومواساةَ الأخ في المالِ، وذِكرَ الله على كلِّ حالٍ، ليسَ سُبحان الله والحمد لله ولكن عندما حرَّمَ اللهُ عليه فَيَدَعُهُ». [٤١]

ويقول معلّى بن خُنيس: سألت الامام الصادقعليه السلام عن حق المؤمن فقال: «هم ٧٠ حق ولكنني لن أقول لك إلا سبعة حقوق منهم رحمةً مني عليك ولخوفي عليك أن لا تتحمل ذلك».

قلت: لماذا، أتحمل أمر الله وطلبه.

قال الامام الصادقعليه السلام (وعدّد لي سبعة حقوق):

«لا تشـبع ويَجوُ، ولا تكتسي ويَعرَى، وتكونُ دليلهُ وقميصَهُ الذي يَلبَسّـهُ، ولسـانَهُ الذي يتكلَّمُ به،

وتُحبُّ لهُ ما تُحِبُّ لنفسِكَ، وإن كانت لك جاريةٌ بعثتها لِتُمهِّدَ فِراشهُ، وتسعى في حوائِجِهِ بالليل والنهار، فإذا فعلتَ ذلك وصلتَ ولايتك بولايتنا، وولايتنا بولاية الله عزَّ وجلَّ». [٤٢]

وبهذا الترتيب فإن رعاية الحقوق أمرٌ صعب لأن للحقوق أنواع وأقسام مختلفة والتي تحتاج إلى الإيثار لرعاية كل منهم، تحتاج إلى العفو والشهامة والمروءة، ولا يستطيع أي شخص أن يؤدي تلك الحقوق غير الانسان الممتاز وذو شخصية والوفي.

تقسيم جامع للامام السجاد عليه السلام عن الحقوق الاسلامية

تطرّق الامام السجاد عليه السلام إلى أبعاد وأقسام الحقوق في تصنيف وتقسيمة جامعة وشاملة وعدّد فيها خمسين حق من الحقوق الاسلامية والتي ذكرها المحدّثون باسم «رسالة الحقوق» عن الامام السجّاد عليه السلام.

«إعلم رحمك اللهُ أنّ لله علك حقوقاً محيطة لك في كل حركة تحرّكتها، أو سكنة سكنتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها وآلة تصرّفت بها، بعضها أكبر من بعض، وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسك تبارك وتعالى من حقّه الذي هو أصل الحقوق، ومنه تفرع، ثم أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقّه الذي هو أصل الحقوق، لبصرك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، وللسانك عليك حقاً، وليديك عليك حقاً ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السّبع التي بها تكون الافعال».

ثم جعل عزّ وجل لافعالك عليك حقوقاً فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقاً.

ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها عليك حقاً أئمتك، ثم حقوق رعيتك، ثم حقوق رحمك.

فهذه حقوق يتشعّب منها حقوق

حقوق أئمتك ورعيّتك وأقربائك و ....

فحقوق أئمتك ثلاثه، أوجبها عليك حق سائسك بالسلطان، ثم سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك، وكل سائس امامٌ.

وحقوق رعيّتك ثلاثة، أوجبها عليك حقّ رعيّتك بالسـلطان، ثم حقّ رعيّتك بالملك من الازواج وما ملكت من الإيمان.

وحقـوق رحمتك كثيرة متصلة بقدر اتصالك الرَّحِـم في القرابَةِ، فاوجبها عليك حقّ أمّك، ثم حق أبيـك، ثـم حقّ ولدك، ثم حـق أخيك، ثمّ الأقرب فالأقـرب، والأوّل فالأوّل، ثم حـقّ مولاك المنعم عليـك، ثـمّ حقّ مولاك الجاري نعمته عليـك، ثم حقّ ذي المعروف لديك، ثم حـقّ مؤذّنك بالصلاة، ثـم حقّ إمامك في صلاتك، ثم حقّ جليسـك، ثم حـقّ جارك، ثم حقّ صاحبك، ثم حقّ شريكك، ثم حـقّ مالـك، ثم حقّ غريمك الذي تطالبـه، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حـقّ خليطك، ثم حقّ خصمك المدّعي عليك، ثم حقّ خصمك الذي تدّعي عليه.

ثم حقّ مستشيرك، ثم حقّ المشير عليك، ثم حقّ مستنصحك، ثم حقّ النّاصح لك، ثم حقّ من هو أكبر منك، ثم حقّ من هو أصغر منك، ثم حقّ سـائلك، ثم حقّ من سـألته، ثمّ حق من جرى لك على يديه مساءةٌ بقول أو فعل أو مسرّة بذلك بقول أو بفعل، عن تعمّد منه أو غير تعمّد منه.

ثـم حـقّ أهل ملّتك عامّة، ثـم حقّ أهل الذمّة، ثـم الحقوق الجارية بقدر علـل الأحوال، وتصرّف الأسباب، فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفّقه وسدَّده.

شرح للحقوق الخمسين على لسان السجّاد عليه السلام

١ - حق الله

فأمّا حق الله الأكبر، فإنّك تعبده لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص، جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ويحفظ لك ما تحبّ منها.

٢ - حق نفسك عليك

وأمّا حقّ نفسك عليك فإن تستوفيها في طاعة الله، فتؤدّي الى لسانك حقّه، وإلى سمعك حقّه، وإلى بصرك حقّه، وإلى يدك حقّها، وإلى يدك حقّها، وإلى رجلك حقّها، وإلى بطنك حقّه، وإلى فرجك حقّه، وتستعين بالله على ذلك.

٣ - حق اللسان

وأمّـا حق اللّسـان فاكرامه عن الخنى، وتعويـده على الخير، وحمله عـلى الأدب،وإجماعه إلى لموضع الحاجة والمنفعة للدّين والدنيا، وإعفاؤه عن الفضول الشـنعة القليلة الفائدة التي لا يؤمن ضررها مع قلّة عائدتها وبعد شـاهد العقل والدليل عليه وتزيّن العاقل بعقله، حسـن سيرته في لسانه، ولا قوّة إلا بالله العلّي العظيم.

٤ – حق السمع

وأمّـا حقّ السـمع فتنزيهـه عن أن تجعله طريقـاً إلى قلبك إلا لِفُوهـةٍ كريمةٍ تحْـث في قلبك خيراً أو تكسـب خلقـاً كريماً فإنّه باب الكلام إلى القلب يؤدي إليـه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شرّ، ولا قوة إلا بالله.[٤٣]

٥ – حق البصر

وأمّا حقّ بصرك فغضّه عمّا لا يحلّ لك وترك ابتذاله إلا لموضع عبرة تستقبل بها بصراً أو تستفيد بها علماً، فإنّ البصر باب الاعتبار.

٦ – حق رجليك

وأمّا حق رجليك فأن لا تمشي بهما إلى ما لا يحلّ لك ولا تجعلهما مطيّتك في الطّريق المستخفّة بأهلها فيها فإنّها حاملتك وسالكةٌ بك مسلك الدّين والسّبق لك ولا قوة إلا بالله.

٧ – حق يدك

وأمّا حقّ يدك فأن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك فتنال بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الآجل ومن الناس بلسان اللائمة في العاجل، ولا تقبضها مما افترض الله عليها، ولكن توفّرها بقبضها عن كثير ممّا لا يحل لها، وبسـطها إلى كثير ممّا ليس عليها، فإذا هي قد عقلت وشرّفت في العاجل، وجب لها حسـن الثّواب في الآجل.

٨ – حق البطن

وأمّـا حقّ بطنك: أن لا تجعلـه وعاءً لقليل من الحرام ولا لكثير وأن تقصد له في الحلال ولا تخرجه من حدّ التقويه إلى حدّ التهوين وذهاب المروءة فأما الشـبع المنتهي بصاحبه إلى السـكر مسخفة ومجهله ومذهبه للمروءة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٩ – حق الفرج

وأما حقّ فرجك: فحفظه مما لا يحلّ لك، والاسـتعانة عليه بغض البصر، فإنّه من أعوان الأعوان، وكثرة ذكر الموت، والتهدّد لنفسـك بالله والتخويف لها به، وبالله العصمة والتأييد، ولا حول وقوة إلاّ به.

ثم حقوق الأفعال

١٠ – حق الصلاة

فأمّـا حـقّ الصلاة فأن تعلم أنها وفادةُ إلى الله وأنك قائمٌ بين يدي الله، فإذا علمتَ ذلك كنت خليقاً

أن تقوم فيها مقام الذّليل، الرّاغب، الرّاهب، الخائف، الرّاجي، المسكين، المتضرّع، المعظّم من قام بين يديه بالسّكون والاطراق، وخشوع الاطراف، ولين الجناح، وحسن المناجاة في نفسه والطلب إليه في فكاك رقبتك التي أحاط به خطيئتك واستهلكتها ذنوبك، ولا قوة إلا بالله.

١١ - حق الصوم

وأما حقّ الصوم فن تعلم نّه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك، ليسترك به من النّار.

وهكذا جاء في الحديث: «الصّوم جُنّة من النّار» فإن سكنت أطرافك في حجبتها رجوت أن تكون محجوباً، وإن أنت تركتها تضطرب في حجابها، وترفع جنبات الحجاب، فتطلّع إلى ما ليس لها بالنّظر الداعية للشهوة والقوة الخارجة عن حدّ التقية لله لم تأمن أن تخرق الحجاب، وتخرج منه ولا قوة إلى بالله.

١٢ - حق الصدقة

وأما حقّ الصّدقة فأن تعلم أنها ذخرك عند ربّك ووديعتك التي لا تحتاج على الأشهاد، فإذا علمت ذلك كنت بما استودعته سراً أوثّق بما استودعته علانية وكنت جديراً أن تكون أسررت إليه أمراً أعلنته، وكان الامر بينك وبينه فيها سِرّاً على كل حال، ولم تستظهر عليه.

فيما استودعته منها بإشهاد الأسماع والابصار عليه بها كأنها أوثق في نفسك لا كأنّك لا تثق به في تأدية وديعتك إليك ثم لم تمتن بها على أحد، لأنّها لك فإذا امتننت بها لم تأمن أن تكون بها مثل تهجين حالك منها إلى من مننت بها عليه لأنّ في ذلك دليلاً على أنّك لم ترد نفسك بها، ولو أردت نفسك بها لم تمتنَّ بها على أحدٍ ولا قوة إلا بالله.

١٣ - حق الهداية

وأمّا حق الهدى فان تخلّص بها الارادة إلى ربّك والتعرّض لرحمته وقبوله ولا تريد عيون النّاظرين دونه، فإذا كنت كذلك لم تكن متكلفاً ولا متصنّعاً وكنت إنّما تقصد إلى الله، واعلم أن الله يراد باليسير ولا يراد بالعسير، كما أراد بخلقها التيسير ولم يّرد بهم التعسير، وكذلك التذلّل أولى بك من التدهقّن، لأن الكلفة والمؤونة في المتدهقنين، فأمّا التذلّل والتّمسكن فلا كلفة فيهما ولا مؤونة عليهما لأنّهما الخِلقة وهما موجودان في الطبيعة، ولا قوة إلا بالله.

ثمَّ حقوق الأئمة

١٤ - حق الحاكم

فأمّا حق سائسك بالسلطان، فأن تعلم أنّك جُعلتَ له فتنة، وأنّه مبتلى فيك بما جعله اللهُ له عليك من السلطان، وأن تخلص له في النصيحة وأن لا تماحكه وقد بُسطت يده عليك، فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه، وتذلّل وتلطّف لاعطائه من الرضى ما يكفّ عنك، ولا يضرّ بدينك وتستعين عليه في ذلك بالله، ولا تعازّه ولا تُعانده، فإنّك إن فعلت ذلك عققته وعققْت نفسك فعرّضتها لمكروهه، وعرّضته للهلكة فيك، وكنت خليفاً أن تكون معيناً له على نفسك وشريكاً له فيما أتى إليك، ولا قوة إلا بالله.

١٥ – حق الحاكم العلمي

وأمّا حقّ سائسك بالعلم فالتّعظيم له، والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع اليه والاقبال عليه، والمعونة له، على نفسك في ما لا غنى بك عنه من العلم بأن تفرّغ له عقلك وتحضره فهمك وتذكّى له قلبك، وتجلّي له بصرك بترك اللّذات، ونقض الشهوات، وأن تعلم أنّك فيما القى إليك رسوله إلى من لَقيك من أهل الجهل فلزمك حسنُ التأدية عنه إليهم، ولا تخنه في تأدية رسالته والقيام بها عنه إذا تقلّدتها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٦ – حق المولا والمالك

وأمّا حق سائسك بالملك فنحوّ من سائسك بالسّلطان إلا أن هذا يملك ما لا يملكه ذاك، تلزمك طاعته فيما دقَّ وجلّ منك إلاّ أن تخرجك من وجوب حقّ اللهِ، ويحول بينك وبين حقّه وحقوق الخلق، فإذا قضيته رجعت إلى حقّه فتشاغلت به ولا قوة إلا بالله.

ثم حقوق الرعية

١٧ – حق الرعية التي تحت حكومتك

فأمّا حقوق رعيّتك بالسلطان فأن تعلم أنّك إنّما استرعيتهم بفضل قوّتك عليهم فإنّه إنّما أحلّهم محلّ الرّعية لك ضعفهم وذلّهم، فما أولى مّن كفاكه ضعفه وذُلّه حتى صيّره لك رعيّة، وصيّر حكمك عليه نافذاً، لا يمتنع منك بعزّةٍ ولا قوّة ولا يستنصر فيما تعاظمه منك إلا بالله بالرحمة والحياطة والأناة وما أولاك إذا عرفت ما أعطاك الله من فضل هذه العزّة والقوّة التي قهرت بها أن تكون لله شاكراً، ومن شكر اللهُ أعطاه في ما أنعم عليه ولا قوّة إلا بالله.

١٨ – حق الرعية العلمي

وأمّا رعيّتك بالعلم، فأن تعلم أنّ الله قد جعلك لهم فيما آتاك من العلم ووَلاّك من خزانة الحكمة، فإن أحسنت فيما ولّاك الله من ذلك، وقُمت به لهم مقام الخازن الشّفيق، النّاصح لمولاه في عبيده،

الصّابر المحتسب الذي إذا رأى ذا حاجة أخرج له من الاموال التي في يديه كنت راشداً، وكنت لذلك آملاً معتقلاً وإلا كنت له خائناً ولخلقه ظالماً، ولسلبه وعزّه متعرضاً.

١٩ - حق الزوجة

وأمّا حقّ رعيّتك بملك النّكاح، فأن تعلم أنّ الله جَعَلّها سكناً ومُستراحاً وأُنساً وواقية، وكذلك كلّ واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه ويعلم أنّ ذلك نعمةٌ منه عليه، ووجب أن يُحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويُرفق بها وإن كان حقّك عليها أغلظ ، وطاعتك بها ألزم فيما أحببت وكرهت ما لم تكن معصية، فإنّ لها حق الرّحمة والمؤانسة وموضع السّكون إليها قضاء اللّذة التي لا بدّ قضائها وذلك عظيم، ولا قوة إلاّ بالله.

٢٠ - حق العبيد

وأمّا حقّ رعيّتك بملك اليمين فأن تعلم أنّه خلق ربّك ولحمك ودمك، وأنّك تملكه لا أنت صنعته دون الله، ولا خلقت له سمعاً ولا بصراً ولا أجريت له رزقاً، ولكنّ الله كفاك ذلك بمن سخّره لك وائتمنك عليه واستودعك إيّاه لتحفظه فيه وتسير فيه بسيرته فتطعمهُ ممّا تأكل وتلبسه ممّا تلبس، ولا تكلّفه ما لا يطيق، فإن كرهته خرجت إلى الله منه واستبدلت به ولم تعذّب خلق الله، ولا قوّة إلا بالله.

وأمّا حق الرحِم

٢١ - حق الام

فحقّ أمّك أن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحمل أحدٌ أحداً، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحدٌ أحداً، وانّها وَقَتكَ بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها، مستبشرة بذلك فرحة موبلة محتملة لما فيه مكروهها والمِها وثقلها وغمّها حتّى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الارض فرضيت أن تشبع وتوع هي، وتكسوك وتعرى، وترويك وتظمأ وتظلّك وتضحى، وتنعمك ببؤسها وتلذّذك بالنّوم بأرقها، وكان بطنها لك وعاءاً، وحجرها لك حواءاً، وثديها لك سقاءاً، ونفسها لك وقاءاً تباشر حرّ الدنيا وبردها لك ودونك، فتشكرها على قدر ذلك عليه إلا بعون الله وتوفيقه.

٢٢ - حق الأب

وأمّا حقّ أبيك فتعلم أنّه أصلك وأنّك فرعه، وأنك لولاه لم تكن فمهما رأيت في نفسك ممّا يعجبك، فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، واحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوّة إلا بالله.

٢٣ – حق الولد

وأمّا حقّ ولدك فتعلم أنّه منك ومضافٌ إليك في عاجل الدّنيا بخيره وشره، وأنّك مسؤول عمّا ولّيته من حُسن الادب والدّلالة على ربّه، والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب، فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدّنيا، المعذر إلى ربّه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والاخذ له منه، ولا قوّة إلا بالله.

٢٤ حق الأخ

وأمّا حقّ أخيك فتعلم أنّه يدك التي تبسطها، وظهرك الذي تلتجيء إليه، وعزّك الذي تعتمد عليه، وقوّتك التي تصول بها، فلا تتّخذه سلاحاً على معصية الله، ولا عِدة للظلم بحق الله، ولا تدع نصرته على نفسه، ومعونته على عدوّه، والحول بينه وبين شياطينه وتأدية النصيحة إليه، والاقبال عليه في الله، فان انقاد لربّه وأحسن الاجابة له، وإلاّ فليكن الله آثر عندك وأكرم عليك منه.

٢٥ – حق المولا المنعم

وأمّا حق المنعم عليك بالولاء، فأن تعلم أنّه أنفق فيك ماله، وأخرجك من ذلِّ الرِّقِّ ووحشته إلى عز الحرية وأُنسها، وأطلقك من إسَر الملكة، وفكّ عنك حِلَق العبودية، وأوجدك رائحة العزّ، وأخرجك من سجن القهر، ودفع عنك العسر، وبسط لك لسان الانصاف، وأباحك الدّنيا كلّها، فملّكك نفسك، وحلَّ إسرك، وفرّغك لعبادة ربك وموتك، وأحقُّ الخلق بنصرك ومعونتك ومكانفتك في ذات الله، فلا تؤثر عليه نفسك ما احتاج إليك.

٢٦ – حق العبيد المحرره

وأمّا حقّ مولاك الجارية عليه نعمتك، فأن تعلم أنّ الله جعلك حامية عليه، وواقية وناصراً ومعقلاً، وجعله لك وسيلة وسبباً بينك وبينه، فبالحريّ أن يحجبك عن النّار، فيكون في ذلك ثوابٌ منه في الآجل، ويحكم لك بميراثه في العاجل إذا لم يكن له رحم مكافأة لما أنفقته من مالك علي، وقمت به من حقّه بعد إنفاق مالك، فإن لم تخف خيف عليك أن لا يطيب لك ميراثه ولا قوة إلا بالله.

٢٧ – حق المحسن إليك

وأمّا حقّ ذي المعروف عليك، فأن تشكره وتذكر معروفه وتنشر له المقالة الحسنة، وتخلّص له الدّعاء فيما بينك وبين الله سبحانه، فإنّك إذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سِراً وعلانية، ثم ان أمكن مكافأته بالفعل، كافأته وإلا كنت مرصداً له مُوَطِّناً نفسك عليها.

٢٨ – حق المؤذن

وأمّا حقّ المؤذّن فأن تعلم أنّه مذكرك بربك وداعيك إلى حظّك وأفضل أعوانك على قضاء

الفريضة التي افترضها الله عليك، فتشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك وإن كنت في بيتك متّهماً لذلك لم تكن لله في أمره متّهما، وعلمت أنّه نعمة من الله عليك، لا شك فيها، فاحسن صحبة نعمة الله بحمد الله عليها على كل حال، ولا قوة إلا بالله.

٢٩ - حق إمام الجماعة

وأمّا حقّ إمامك في صلاتك، فأن تعلم أنّه قد تقلّد السّفارة فيما بينك وبين الله والوفادة إلى ربّك، وتكلّم عنك، ولم تتكلّم عنه ودعا لك ولم تدع له، وطلب فيك، ولم تطلب فيه، وكفاك هم المقام بين يدي الله والمسألة له فيك، ولم تكفه ذلك فان كان في شيء من ذلك تقصير كان به دونك، وإن كان آثماً لم تكن شريكه فيه ولم يكن لك عليه فضل، فوقي بنفسه ووقى صلاتك بصلاته، فشكر له على ذلك ولا حول ولا قوّة لا بالله.

٣٠ - حق الجليس

وأمّا حقّ الجليس فأن تلين له كنفك، وتطيب له جانبك وتنصف في مجاراة اللفظ ولا تغرق في نزع اللحظ اذا لحظت وتقصد في اللّفظ إلى إفهامه إذا لفظت، وإن كنت الجليس إليه كنت في القيام عنه بالخيار، وإن كان الجالس إليك كان بالخيار، ولا تقوم إلا بإذنه ولا قوة إلا بالله.

٣١ - حق الجار

وأمّا حقّ الجار، فحفظه غائباً، وكرامته شاهداً ونصرته ومعونته في الحالين جميعاً، لا تتّبع له عورة، ولا تبحث له عن سوءَةٍ، لتعرفها، فإن عرفتها منه عن غير أرادة منك، ولا تكلّف، كنت لما علمت حصناً حصيناً وستراً ستيراً، لو بحثت الأسنّة عنه ضميراً لم تتّصل إليه لانطوائه عليه، لا تستمع عليه من حيث لا يعلم، لا تسلمه عند شديدة، ولا تحسده عند نعمة، تقيل عثرته، وتغفر زلّته، ولا تدّخر حلمك عنه إذا جهل عليك، ولا تخرج أن تكون سلّماً له، تردّ عنه لسان الشّتيمة، وتبطل فيه كيد حامل النصيحة وتعاشره معاشرة كريمة، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

٣٢ - حق الرفاقة

وأمّا حقّ الصّاحب فأن تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سبيلاً، وإلاّ فلا أقلّ من الانصاف، وأن تكرمه كما يكرمك، وتحفظه كما يحفظك ولا يسبقك فيما بينك وبينه نصيحته وحياطته ومعاضدته على طاعة ربّه، ومعونته على نفسه فيما لا يهمُّ به من معصيته ربّه، ثمَّ تكون (عليه) رحمة ولا تكوّن عليه عذاباً ولا قوة إلا بالله.

٣٣ - حق الشريك

وأمّا حقّ الشّريك فإن غاب كفيته، وإن حضر ساويته، ولا تعزم على حكمك دون حكمه، ولا

تعمل برأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، وتنفى عنه خيانته فيما عزّ أو هان، فإنّه بلغنا: ﴿أنّ يد الله عَلَى الشّريكين ما لم يتخاوَنا﴾ ولا قوّة إلا باللهِ.

٣٤ – حق المال

وأمّا حقّ المال فن لا تأخذه إلاّ من حِلِّهِ، ولا تنفقه إلاّ في حلّه، ولا يحرّفه عن مواضعه، ولا تصرفه عن حقائقه، ولا تجعله إذا كان من الله إلا إليه، وسبباً إلى الله، ولا تؤثر به على نفسك من لعلّه لا يحمدك وبالحريّ أن لا يحسن خلافته في تركِكَ ولا يعمل فيه بطاعة ربّك فتكون معيناً له على ذلك وبما أحدث في مالك أحسن نظراً لنفسه، فيعمل بطاعة ربّه فيذهب بالغنيمة، وتبوء بالاثم والحسرة والنّدامة مع التبعة، ولا قوة إلا بالله.

٣٥ – حق الغريم الطالب

أمّا حقّ الغريم الطالب لك، فإن كنت مؤسراً أوفيته وكفيتّه وأغنيته ولم ترده وتمطله، فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مطل الغنى ظلم» وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول، وطلبت إليه طلباً جميلاً ورددته عن نفسك ردّاً لطيفاً ولم تجمع عليه ذهاب ماله وسوء معاملته، فإنّ ذلك لؤم، ولا قوّة إلا بالله.

٣٦ – حق الخليط

أمّا حقّ الخليط فأن لا تغره ولا تغشه ولا تكذبه ولا تغفله ولا تخدعه ولا تعمل في انتفاضة عمل العدوّ الذي لا يبقى على صاحبه، وإن اطمأن إليك استقصيت له على نفسك وعلمت أن غبن المسترسل ربّاً ولا قوة إلا بالله.

٣٧ – حق الخصم المدعى عليك

وأمّا حقّ الخصم المدّعى عليك فان كان ما يدّعى عليك حقّاً لم تنفسخ في حجّته، ولم تعمل في أبطال دعوته، وكنت خصم نفسك له، والحاكم عليها، والشاهد له بحقّه دون شهادة الشّهود فإنّ ذلك حقّ الله عليك، وإن كان ما يدذعيه باطلاً رفقت به وروعته وناشدته بدينه، وكسرت حدّته عنك بذكر الله وألقيت حشو الكلام ولغطه الذي لا يرد عنك عادية عدوّك، بل تبوء بإثمه وبه يشحذ عليك سيف عداوته لأن لفظه السوء تبعث الشر، والخير مقمعة للشر ولا قوّة إلا بالله.

٣٨ – حق المدعى عليه

وما الخصم المدّعى عليه، فان كان ما تدّعيه حقّاً أجملت في مقاولته بمخرج الدّعوى، فانّ للدّعوى غلطة في سمع المدّعى عليه، وقصدت قصد حجّتك بالرّفق، وأمهل المهلة وأبين البيان، وألطف اللّطف، ولم تتشاغل عن حجّتك بمنازعته بالقيل والقال فتذهب عنك حجّتك ولا يكون لك في ذلك درك لا قوّة إلا بالله.

٣٩ – حق المستشير

وأمّا حقّ المستشـير فان حضرك له وجه رأي جهدت له في النّصيحة وأشرت عليه بما تعلم أنك لو كنـت مكانـه عملت به وذلك ليكن منك في رحمة ولين، فإن اللّين يؤنس الوحشـة، وإنّ الغلظ يوحش موضـع الانـس، وإن لم يحـضرك لـه رأي وعرفـت له من تشـق برأيه، وترضى بـه لنفسـك دللته عليه وأرشدته إليه، فكنت لم تأله خيراً، ولم تدّخره نصحاً، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

٤٠ – حق المستشار

وأمّا حقّ المشير عليك فلا تتّهمه فيما يوافقك عليه من رأيه إذا أشار عليك، فإنّما هي الآراء وتصرّف النّاس فيها واختلافهم فكن عليه في رأيه بالخيار إذا اتّهمت رأيه، فأما تهمته فلا تجوز لك إذا كان عندك ممّن يسـتحق المشـاورة، ولا تدع شـكره على ما بدا لك من أشـخاص رأيه وحسـن وجه مشورته، فإذا وافقك حمدت الله وقبلت ذلك من أخيه الشّكر والارصاد بالمكافأة في مثلها إن فزع إليك، ولا قوّة إلا بالله.

٤١ – حق المستنصح

وأمـا حـق المسـتنصح، فإنّ حقّه أن تـؤدّي إليه النّصيحة عـلى الحقّ الذي ترى لـه أنّه يحمل ويخرج المخـرج الـذي يلين على مسـامعه، وتكلّمه من الكلام بما يطيقه عقله، فإنّ لـكل عقل طبقه من الكلام يعرفه ويجتنبه، وليكن مذهبك الرّحمة، ولا قوّة إلا بالله.

٤٢ – حق الناصح

وأمّـا حـقّ النّاصح فـأن تلين له جناحك، ثُـمّ تشرئب له قلبك وتفتح له سـمعك حتّـى تفهم عنه نصيحتـه ثـمّ تنظـر فيهـا، فإن كان وفّـق فيها للصّـواب، حمدت الله عـلى ذلك وقبلت منـه وعرفت له نصيحتـه، وإن لم يكـن وفّق لها، فيها رحمته ولم تتّهمه وعلمت أنّه لم يسـألك نصحاً إلا أنّه أخطأ، إلا أن يكون عندك مستحقّاً للتهمه فلا تعبأ بشيء من أمره على كل حال، ولا قوّة إلا بالله.

٤٣ – حق الكبير

وأمّا حقّ الكبير فإنّ حقّه توقير سنّه، وإجلال إسلامه إذا كان من أهل الفضل في الإسلام بتقديمه فيـه، وتـرك مقابلته عند الخصام، ولا تسـبقه إلى طريق، ولا تؤمّه في طريق، ولا تسـتجهله، وإن جهل عليك تحملت وأكرمته بحقّ إسلامه مع سنّه فإنّما حقّ السّن بقدر الإسلام ولا قوّة إلا بالله.

٤٤ – حق الصغير

وأمّا حقّ الصّغير فرحمته وتثقيفه وتعليمه والعفو عنه والسّـتر عليه والرّفق به، والمعونة له والسّـتر على جرائر حداثته فإنه سبب للتّوبة، والمداراة له وترك مماحكته، فإن ذلك أدنى لرشده.

٤٥ – حق السائل

وأمّا حقّ السائل فإعطاؤه إذا تهيّأت صدقة وقدرت على سدّ حاجته والدّعاء له فيما نزل به، والمعاونة على طلبته وإن شككت في صدقه، وسبقت إليه التّهمة له ولم تعزم على ذلك لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان أراد أن يصدّك عن حظّك ويحول بينك وبين التقرّب إلى ربّك وتركته بستره ورددته ردّاً جميلاً، وإن غلبت نفسك في أمره وأعطيته على ما عرض في نفسك منه، فإنّ ذلك من عزم الأمور.

٤٦ – حق المسئول

وأمّا حقّ المسئول، فحقّه أن أعطى قُبل منه ما اعطى بالشّكر له والمعرفة لفضله وطلب وجه العذر ومنعه، واحسن به الظنّ، واعلم أنّه إن منع فيما له، منع وان ليس التثريب ف ماله وان كان ظالماً فإن الإنسان لظلوم كفّار.

٤٧ – حق الباعث للسرور

وأمّا حقّ من سرّك الله به وعلى يديه، فان كان تعمّدها لك حمدت الله أوّلا ثم شكرته على ذلك بقدره في موضع الجزاء وكافأته على فضل الابتداء، وأرصدت له المكافأة، وإن لم يكن تعمّدها حمدت الله وشكرته وعلمت أنه منه، توحّدك بها وأحببت هذا إذا كان سبباً من أسباب نعم الله عليك وترجو له بعد ذلك خيراً، فإنّ أسباب النّعم بركة حيث ما كانت وإن كان لم يعتمد، ولا قوّة إلا بالله.

٤٨ – حق من سائك القضاء

وأمّا حقّ من سائك القضاء على يديه بقول أو فعل، فإن كان تعمّدها كان العفو أولى بك لما فيه من القمح وحسن الأدب مع كثير أمثاله من الخلق، فانّ الله يقول: ﴿وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبيلٍ – الى قولِهِ – مِنْ عَزْمِ الْمورِ﴾، وقال عزّ وجل: ﴿وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لَلصّابِرينَ﴾ هذا في العمد، فإن لم يكن عمداً لم تظلمه بتعمّد الانتصار منه فتكون قد كافأته في تعمّد على خطأ، ورفقت به، ورددته بألطف ما تقدر عليه، ولا قوة إلا بالله.

٤٩ – حق أهل الدين

وأمّا حقّ أهل ملّتك عامّة، فاضمار السّلامة ونشر جناح الرّحمة والرّفق بمسيئهم، وتألّفهم واستصلاحهم، وشكر محسنهم إلى نفسه وإليك فإنّ احسانه إلى نفسه إحسانه إليك إذا كفّ عنك أذاه، وكفاك مؤونته، وحبس عنك نفسه فعمّهم جميعاً بدعوتك، وانصرهم جميعاً بنصرتك، وانزلتهم جميعاً منك منازلهم، كبيرهم بمنزلة الوالد، وصغيرهم بمنزلة الولد، وأوسطهم بمنزلة الأخ، فمن أتاك تعاهدته بلطف ورحمة، وصل أخاك بما يجب للأخ على أخيه.

٥٠ – حق أهل الذمة

وأمّا حق أهل الذّمة، فالحكم فيهم أن تقبل منهم ما قبل اللهُ وتفي بما جعل الله لهم من ذمّته وعهده وتكلّمهم إليه فيما طلبوا من أنفسهم وأجبروا، وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك فيما جرى بينك (وبينهم) من معاملة، وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمّة الله والوفاء بعهده وعهد رسول اللهﷺ حائل، فإنّه بلغنا أنّه قالﷺ: «مَنْ ظَلَمَ مُعاهِداً كُنتُ خَصمُهُ» فاتقِ اللهَ ولا حول ولا قوّة إلا به.

لا تخرج من هذه الحقوق من حال

فهـذه خمسـون حقّاً محيطاً بك لا تخرج منها في حال من الأحـوال، يجب عليك رعايتها، والعمل في تأديتها والاستعانة بالله جلّ ثناؤُه على ذلك، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، والحمد لله ربّ العالمين.(٤٤)

نظرة أخرى إلى الحقوق الجامعة في الإسلام

ولا ننسـى القـول بأن مجـالات الحق والحقوق مثلما قلنا واسـعة جداً، ولهـا مصداقيات كثيرة، غير محصـورة بالـذي ذُكر من قبـل، وبالاسـتعانة بالروايات نذكر هنـا (٩٠) حق من الحقوق الإسـلامية بصـورة فهـرس، حتـى يتضح لنا بأن للحقوق الإسـلامية أنواع وأقسـام كثيرة وقد شرحها الإسـلام بصـورة مفصلـة ودقيقـة وجـاءت الحقوق الإسـلامية والتي ليسـت موجـودة عند الآخريـن جامعة وشاملة.

ولتوضيـح هـذا المطلب، نلفت نظركم إلى النقـاط التالية والتي أخذت مـن روايات متعددة – مع حذف التكرار:

قال الإمام الصادقعليه السلام في حديث بعنوان «حق المسلم على المسلم»:

١ – أن لا يشبع ويجوع أخوه

٢ – لا يروى ويعطش أخوه

٣ – لا يكتسي ويعرى أخوه

٤ – أحِب لأخيك المسلم ما تُحبُّ لنفسك

٥ – إذا احتجت فسلْه، وإذا سألك فأعطِه

٦ – لا تملَّه خيراً، ولا يملَّه لك

٧ – كن له ظهراً، فإنّه لك ظهر

٨ – إذا غاب فاحفظه في غيبته

٩ – إذا شهد فزُره، وأجلَّه وأكرمه

١٠ – إن كان عليك عاتباً فلا تُفارقه حتى تسأل سميحتَهُ

١١ – إن أصابه خيراً فاحمد الله

١٢ – إن ابتلي فاعضُدهُ

١٣ – ان تمحَّلَ لهُ فأَعِنه[٤٥]

–––––

١٤ – أن يسمّم عليه إذا لقيه

١٥ – يعوده إذا مرض

١٦ – ينصح له إذا غاب

١٧ – يسمّته إذا عطس

١٨ – يجيبه إذا دعاه

١٩ – يتبعه إذا مات

–––––

٢٠ – المودّة له في صدره

٢١ – المواساة له في ماله

٢٢ – الخلف له في أهله

٢٣ – النصرة له على من ظلمه

٢٤ – إن كان له نافلةً (عطيّةً) في المسلمين وكان غائباً أخذ له بنصيبه

٢٥ – وإذا مات، الزيارة إلى قبره

٢٦ – ٢٨ – أن لا يظلمه وأن لا يغشّه وأن لا يخونه

٢٩ – ٣١ وأن لا يخذُلهُ وأن لا يكذِبَه وأن لا يقول له أفّ[٤٦]

٣٢ – أن يحب المرء المسلم لأخيه ما يحبّ لأعزّ أهل

٣٣ – أن يكره المرء المسلم لأخيه ما يكره لأعزّ أهل

٣٤ – أن يناصحه الولاية (أي: خلوص المحبّة عن الغشّ)

٣٥ – ٣٦ – فرِحَ لفرحه إن هو فرح، وحزن لحزنه إن هو حزن

٣٧ – إن كان عنده ما يُفرّج عنه فرَّج عنه، وإلا دعا الله له

–––––

٣٨ - لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه

٣٩ - يحث على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطُف

٤٠ - والمواساة لأهل الحاجة

٤١ - تعاطُف بعضِهم على بعض حتّى تكونوا كما أمركم الله عزّ وجلّ:

﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح - ٢٩) مُتراحمين.

قال رسول الله ﷺ: حقٌّ على المسلم

٤٢ - إذا أراد سفراً أن يُعلم إخوانهُ

٤٣ - حقٌّ على إخوانه إذا قدِمَ أن يأتوه[٤٧]

عن الصادق عليه السلام قال رسول الله ﷺ: للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق:

٤٤ - الاجلال له في عينه

٤٥ - الوُدّ له في صدره

٤٦ - المواساة له في ماله

٤٧ - أن يحرّم غيبته

٤٨ - أن يعوده في مرضه

٤٩ - أن يشيّع جنازته

٥٠ - أن لا يقول فيه بعد موته إلا خيراً[٤٨]

قال الكاظم عليه السلام: انّ من أوجب حقّ أخيك:

٥١ - أن لا تكتمه شيئاً تنفعه به لأمر دنياه وآخرته

٥٢ - لا تحقد عليه وإن أساءَ

٥٣ - أجب دعوته إذا دعاك

٥٤ - لا تخل بينه وبين عدوّه من النّاس، وان كان (العدوّ) أقرب إليه منك ...[٤٩]

عن الباقر عليه السلام: من حق المؤمن:

٥٥ - يواري عورته

٥٦ - يفرّج عنه كربته

٥٧ – يقضي دينه

٥٨ – اذا مات، خلفه في أهله وولده[٥٠]

عن الصادقعليه السلام: أوجب الحقوق:

٥٩ – أن يقول الرّجل حقاً وإن كان على نفسه، أو على والديه، فلا يميل لهم عن الحقّ[٥١]

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: يلزم الحقّ لأمّتي في أربع:

٦٠ – يحبّون التائب

٦١ – يرحمون الضّعيف

٦٢ – يُعينون المحسن

٦٣ – يستغفرون للمذنب[٥٢]

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم:

٦٤ – المؤمن مرآةٌ لأخيه المؤمن

٦٥ – ينصحه إذا غاب عنه

٦٦ – يميط عنه ما يكره إذا شهد

٦٧ – يوسّع له في المجلس[٥٣]

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: للمسلم على المسلم ثلاثون حقّاً، منها:

٦٨ – أن يغفر زلّته

٦٩ – يرحم عبرته

٧٠ – يستر عورته

٧١ – يُقيل عثرته

٧٢ – يقبل معذرته

٧٣ – يردّ غيبته

٧٤ – يديم نصيحته

٧٥ – يحفظ خلّته

٧٦ – يرعى ذمّته ...

٧٧ – يقبل هديّته

٧٨ – يكافيء صلته

٧٩ – يشكر نعمته

٨٠ – يحسن نصرته

٨١ – يحفظ حليلته ....

٨٢ – يشفّع مسألته ....

٨٣ – يرشد ضآلته

٨٤ – يردّ سلامه

٨٥ – يطيّب كلامه

٨٦ – يبرُّ إنعامه

٨٧ – يصدّق اقسامه

٨٨ – يوالى وليّه ولا يعاديه

٨٩ – وينصره ظالماً ومظلوماً، فامّا نصرته ظالماً فيردّه عن ظلمه، وامّا نصرته مظلوماً، فيعينه على أخذ حقّه

٩٠ – لا يسلّمه ولا يخذله .... (٥٤)

حديثين لطيفين: نختم هذا القسم بحديثين لطيفين وعميقين كحسن الختام:

١ – قال الامام الصادق عليه السلام:

«المؤمنون في تبارهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، اذا اشتكى تداعى له سائره بالسهر والحمى»(٥٥)

٢ – أبو اسماعيل قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك، إن الشيعة عندنا كثير، فقال: فهل يعطف الغني على الفقير، وهل يتجاوز المحسن على المسيء ويتواسون؟ فقلت: لا.

فقال عليه السلام: ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا. (٥٦)

الاجتناب عن أسباب وعوامل ضياع الحقوق وتلفها

نهى الاسلام عن العوامل والأسباب التي تؤدي إلى تلف وتضييع الحقوق، ورغّب ووصّى بالامور التي تؤدي وتساعد على تحقيق الحقوق.

ن عوامل ترك وتلف الحقوق كثيرة، نذكر منها هذه العوامل التالية والتي هي على رأس القائمة:

١ – التكبر والغرور والانانية

٢ – الحرص وحب المال

٣ - الحسد ومراقبة الناس
٤ - الغفة وعدم التوجه والانتباه الى الامور الاسلامية والاجتماعية
٥ - الضغينة والعداوة
٦ - التعصب لأمور واهية ومن غير أساس
٧ - التعصب العنصري
٨ - الجهل والأمية
٩ - عقدة حقارة النفس والتقليل من شأنها
١٠ - البخل والشح والرذالة والنفاق

من أكثر العوامل التي تؤدي إلى تضييع الحقوق هي التكبر والحسد والحرص فعلى ذلك، فإنّ الخطوة الأولى لحفظ حقوق الفرد والمجتمع هي إقلاع جذور الاستكبار والحرص والحسد من وجودنا.

مثلما قال الامام الصادقعليه السلام:

«أُصُولُ الكُفْرِ ثلاثةٌ: الحِرصُ والاستكبارُ والحسدُ، فأمّا الحرصُ، فإنّ آدمَعليه السلام حين نهى عن الشجة، حملهُ الحرصُ على أن يأكل منها، وأمّا الاستكبار فابليسُ حين أُمر بالسجود لآدمَ استكبر، وأمّا الحسدُ فابنا آدمُ حيث قتلَ أحدهما صاحبّهُ».[٥٧]

ذنب تحقيق المؤمن

من أحد الخصال السيئة والشائعة ومعروفة، والتي تشأت من الاستكبار والحسد و ... وتؤدي إلى تضييع الحقوق في أمور كثيرة هي التحقير والاستهزاء بحق المؤمن.

في مراكز العلاقات الاجتماعية وخصوصاً في الدوائر، كان هذا العامل سبب لاتلاف والقضاء على حقوق كثيرة، حتى وصل الامر إلى الفضيحة وعلى سبيل المثال: يقولون إذا كان لدى الشخص أحد هذه الأمور (المال، الواسطة، الوقاحة، وقلة الحياء) فانه سينال حقه وإلا يضيع حقه.

ذنب تحقير المؤمن ذنب كبير وعظيم جداً، وقد ذمّ الرسولصلى الله عليه وآله والائمةعليهم السلام بشدة هذا الذنب.

من بين عشرات الرواية نلفت نظركم إلى هذه الرواية:

عن الامام الصادقعليه السلام: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: في ليلة المعراج عندما أسرى بي في السماوات، ومن وراء ستار عالم المعنى تم الوحي بما يريد الله إلى أن قال لي: «يا محمّدُ ! من أذَلَّ لي وليّاً فقد أرصدني بالمحاربة، ومن حاربني حاربتُهُ»[٥٨]

العوامل التي تساعد على تحقيق الحقوق الفردية والاجتماعية

مثلما نهى الاسلام عن كل العوامل التي تقضي على الحق، فإنه أمر ووصّى على العوامل التي تساعد على تحقيق الحقوق.

إن العوامل التي تساعد على توجيه البشر لرعاية الحقوق كثيرة منها:

١ - العبودية الخالصة لله

٢ - التواضع

٣ - الزهد والتقوى

٤ - الترحم والاخوة

٥ - العلم والمعرفة

٦ - السخاء والكرم

٧ - صفاء القلب والروح

٨ - التوجه والانتباه

٩ - التدين والالتزام بالبرامج الدينية

١٠ - الزيارات واللقاءات والعلاقات الحميمة

١١ - العفو والتغاضي

١٢ - سعة الصدر والنبل

١٣ - الحلم والصمود أمام الحوادث

١٤ - حسن وكرم الاخلاق

١٥ - السماحة والشهامة والمروءة

كل عامل من هذه العوامل له دور واضح ونافع في تحقيق الحقوق وعدم تضييعها ووصيّ الاسلام بتأكيد العميقة وكثيرة على تلك العوامل.

(نهاية الباب الثاني)

الباب الثالث

توضيح ودراسة عشرة أصول من الحقوق الاسلامية

ملاحظة

مثلما ذكرنا من قبل أن نطاق الحقوق في الاسـلام واسـع جداً، ولا يسـعنا شرحها وبحثها في كتاب واحـد، ولكن على سـبيل المثال سـنشرح بعض موارد الحقـوق لنعلم مدى أهمية الحقوق في الاسـلام وآثارها المشرقة والمنيرة والوضّاءة على البشر.

سـنتطرق في هذا الفصل إلى عشرة عناوين في الحقوق، على أمل أن ندرك ونعرف - مع التوجه إلى هذه الموارد - التاكيد العميق والدقيق للاسلام لرعاية الحقوق من كل الجوانب.

وهذه الأصول هي:

١ - العدالة والقسط والاحسان

٢ - الغاء كل التفرقات العنصرية والغير عنصرية

٣ - الحقوق المتقابلة بين الحاكم والشعب

٤ - الحقوق المتقابلة بين الوالدين والأبناء

٥ - العلم والأمانة والتعهد - ثلاثة حقوق وأسس متينة لحفظ الحقوق

٦ - حقوق الجيران

٧ - حقوق الأرحام والأقرباء

٨ - حقوق العامل والضيف

٩ - الحقوق المتساوية للناس في بيت المال

١٠ - التعايش السلمي مع الاقليات المذهبية

الاصل الاول

العدالة والقسط والاحسان

العدل والاحسان في الاسلام

الاسـلام دين العدل والاحسـان ووصّي بهما بصورة عميقة وواسـعة، وأكّد كثيراً على الامتناع عن ضدهما وأبطل كل التفرقات العنصرية والغير العنصرية.

وحقـاً إذا تـم العمـل عـلى هذا لاصل الاسـاسي للاسـلام فإن جـزء مهم مـن الحقوق الانسـانية والاسـلامية سـترُاعى وفي ضـوءه سـتتحقق الكثير مـن الحقـوق الفرديـة والاجتماعيـة والاقتصادية والسياسية.

نقرأة في القرآن الآية رقم (٩٠) من سورة النحل:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

وفي الآية رقم (٨) من سورة المائدة نقرأ:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُـهَداءَ بِالْقِسْـطِ وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَـنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى﴾

لقـد جعل الله سـبحانه وتعـالى تحقيق العدالة الاجتماعيـة من أحد الاهداف المهمـة لنهضة الانبياء والرسل مثلما نقرأ في الآية رقم (٢٥) من سورة الحديد:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾

أشارت هذه الآية إلى ثلاثة أمور مقدّمة لإقامة العدل وهي:

١ - البينـات: والتـي تعنـي دلائل واضحة وشـاملة للمعاجـز والدلائل العقلية عـلى صحة دعوة الرسل.

٢ - الكتاب: ويشير الى الكتب السماوية والتي تشمل بيان للمعارف والعقائد والاخلاق والاحكام.

٣ - الميزان: والذي يعني القوانين والحقوق التي هي معيار تتمييز الخير عن الشر والقيم عن غير القيم والحق عن الباطل.

وبتجهيز الرسل بهذه القوى الثلاثة، فإنهم سيستطيعون بهم اعداد البشر لإقامة العدل وتأمين الحقوق، والشيء الذي يلفت النظر هو أن الله سبحانه وتعالى لا ينسب اقامة العدل إلى الانبياء في هذه الآية بل يقول أنه يجب تربية المجتمعات في جو مذهب الرسل حتى يستطيعون بأنفسهم إقامة العدل، ومن المهم أيضاً أن تظهر هذه المسألة في المجتمع بصورة تلقائية واختيارية وليس بصورة تحميلية وإجبارية.

تبين الآيات السابقة بكل صراحة عن أهمية العدالة وإلغاء التفرقة في الاسلام وأمر قطعي من الله سبحانه وتعالى بذلك.

مفهوم العدل

مفهوم العدل بمعناه الواقعي هو أن يظل كل شيء في مكانه، وعلى هذا الاساس فإن أية انحراف، إفراط، تفريط، تجاوز عن الحد والتجاوز على حقوق الآخرين مخالف لأصل العدل.

إن الانسان السليم هو الشخص الذي كل أجهزة جسمه تعمل بعملها دون أي نقصان أو زيادة، أما إذا بمجرد أن أحد الأجهزة أو عدة منها قصّرت في عملها أو خطت خطوة في مسير التجاوز على حدود العمل، فإنه ستظهر آثار الاختلال فوراً في كل أنحاء الجسم وحتما سيظهر المرض.

أيضاً فإن المجتمع الانساني مثل جسم الانسان الذي إذا لم تُراعي أصل العدالة فيه فإنه بالتأكيد سيمرض.

وعلى هذا الأساس أي قانون تتصوره أوسع وأشمل من قانون العدل !..

العدل هو القانون الذي كل نظام الوجود يدور حول محوره وبالعدل قامت السماوات والارضون، والمجتمع الانساني الذي هو ركن صغير من هذا العالم لا يستطيع أن يكون بعيد عن قانون العالم الشامل المحيط به، ويستمر بالحياة السليمة من غير العدل.

الاحسان بجانب العدل

لأن العدل بكل قدراته وتأثيره العميق لا يعمل لوحده عند الازمات والمواقف الاستثنائية، فقد

أمر الله في الأية السابقة بالاحسان مباشرة بعد العدل، وبعبارة أوضح، في طول حياة الانسان تحصل له أمور حساسة ومشاكل لا يستطيع حلها بالعدل فقط بل يحتاج إلى الايثار والعفو والفداء والذي لا يتحقق إلا بالاستعانة من أصل الاحسان.

وعلى سبيل المثال: شن العدو حملة غدّارة على المجتمع أو دمّر السيل أو الطوفان أو الزلزلة جزء من الدولة، فإذا ارادت الناس في ظروف كهذه أن تنتظر حل مشكلتها بالضرائب العادلة وسائر القوانين العادية ويُدفع لها حقوقها وحقوق الخاسرين، فإن ذلك غير ممكن.

ومن هنا يجب على الاشخاص الذي لديهم إمكانيات أكثر من ناحية القوة ومن الناحية الفكرية والجسدية والمالية أن يتعاونوا على الفداء والتضحية ويحاولوا بقدر الامكان أن يلتزموا بالإيثار وإلا فإن العدو الجبّار ممكن أن يقضى على كل المجتمع، أو تشل الحوادث الطبيعية المؤلمة بصورة كلية جمعٌ كثير.

مثال آخر: ركبنا الباص وامتلأت كل المقاعد فدخلت سيدة حاملة إبنها في حضنها أو دخل شيخ مسن وعجوز الباص، هنا تقتضي العدالة بأن كل شخص جالس في مكانه، مكانه من حقه ويستطيع أن يجلس بهذا المكان لآخر الطريق، ولكن يقول الاحسان قُم ودع السيدة أو الشيخ يجلس في مكانك على المقعد.

وعلى هذا الاساس فإن لرعاية الحقوق الكاملة في بعض الموارد بالاضافة إلى العدالة تحتاج أيضاً إلى الاحسان.

وبالفعل هذين الاصلين (العدل والاحسان) يتحكما بصورة طبيعية في نظام الجسم، في الاحوال العادية يخدم كل جهاز من أجهزة الجسم بعضهم البعض، وكل عضو يعمل لكل الجسم، ويستفيد أيضاً من الأعضاء الأخرى (وهذا هو أصل العدالة) ولكن إذا انجرح عضو معين في الجسم وفقد عمله، فهل من الممكن في هذه الحالة أن تتجاهل الأعضاء الأخرى هذا العضو !.. هل ممكن أن يتركوا تغذية العضو المجروح !... بالتأكيد لا.

وأيضاً يجب أن يكون في كل المجتمع هذه الحالتين - العدل والاحسان - معا ويكونا الحاكم في المجتمع وإلا فلن يكون مجتمعا سليما.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «العدلُ الانصافُ، والاحسانُ التفضُلُ»[٥٩]

العدالة ركن مهم لتحقيق الحقوق

في الاسلام لا يوجد شيء مهم بعد التوحيد أكثر من أهمية العدل، مثلما أن أية مسألة من المسائل

العقائديـة والعملية والفردية والاجتماعية والاخلاقية والحقوقيـة لا تنفصل عن حقيقة التوحيد، فإننا لا نجد اية واحدة منهم تخلو من روح العدل، ولهذا السـبب فإن مسـألة العدل عُرفت بأحد الأصول والأسس في مذهب التشيع.

قال رسول الله ﷺ: «بالعدل قامت السماوات والارض»[٦٠]

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «العدلُ نظامُ الأمر»

وأيضا قال: «العدل حياة»

«العدل زينة الإيمان»[٦١]

«ما عمرت البلاد بمثل العدل»[٦٢]

وفي الآية (١٧) من سورة الحديد نقرأ:

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

قال الامام الكاظم عليه السلام: أن معني هذه الآية ليست إحياء الارض وزراعتها بوسيلة المطر «ولكـن يبعثُ اللهُ رجالا فيُحيونَ العَدل فتُحيى الارض لإحياء العدل، ولإقامة العدل فيه أنفعُ في الارض من القطر أربعين صباحاً.»[٦٣]

العدل في حكومة قائم آل محمد ﷺ

في عصر سـيدنا وامامنا المهدي (عج) سـتتحقق الحكومة الاسـلامية الخالصـة والعميقة والجامعة وعلى حسـب الروايـات الخاصة بخروج وظهور المهـدي (عج) فإنه لا يوجد فيهـا شيء ملفت للنظر أكثر من العدل والقسط.

لذا فإن العدل في الاسلام جاء في مقدمة قائمة الحكومة الكاملة المرغوبة النموذجية، نقرا في رواية من الروايات الكثيرة لوصف إمام العصر (عج):

«يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوْراً وظُلماً.»[٦٤]

قال الامام الصادق عليه السلام:

«وإذا قـام القائمُ حكم بالعدل، وارتفع في أيامه الجوْرُ وأمِنت السُّـبُلُ، وأخرجت الأرض بركاتها، ورُدَّ كلُّ حقٍ إلى أهليه.»[٦٥]

الفرق بين القسط والعدل

لقـد ذكر القرآن ١٥ مرة عن القسـط[٦٦]، نقـرأ في أحد الآيات (مائدة – ٤٢) يخاطب الله سـبحانه

وتعالى رسوله: ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

لقد ذكر أيضاً مراراً في الروايات الخاصة بسيدنا المهدي (عج) عن القسط والعدل، وهنا يطرح سؤال ما الفرق بين القسط والعدل؟

الجواب: كلمة القسط تستخدم أكثر في الأمور الاقتصادية والتوزيع العادل للأموال على أساس العدالة الاجتماعية بين أفراد مختلفة، ولا يوجد أي نوع من التفرقة بينهم في هذا التوزيع.

ولكن يوجد للعدل معنى عام والذي يشمل العدالة في كل الابعاد من العقائد والعلم والسياسة والاخلاق.

إن مسألة حفظ الحقوق في حكومة قسط وعدل الامام المهدي (عج) دقيقة ومفصلة لدرجة أن الامام المهدي (عج) يعلن في مراسم الحج عند الازدحام الشديد للناس: «أن على الذي يحجون الحج المستحب أن يتركوا محل الطواف وبجانب الحجر الأسود ويفسحوا مجال للذين يحجون الحج الواجب.»[٦٧]

كان يهتم الامام عليّ عليه السلام في حكومته كثيراً بالعمل على القسط الاسلامي إلى درجة أنه كان يُقسم بيت المالي بصورة متساوية بين الناس، وقال في أخيه عقيل في قصة الحديد:

«ولو كان المالُ لي لسوَّيتُهُ بينهُم فكيف وإنّما المالُ مالُ الله.»[٦٨]

النتيجة

لوصول الحق إلى صاحبه ولتأمين الحقوق الفردية والاجتماعية يجب معرفة العدل والقسط الاسلامي والعمل بهما في ميدان العمل وإلا فمن المستحيل تأدية حقوق الانسان.

وبالعكس فإن الحقوق ستضيع وتهدر، ويحل الهرج والمرج الحقوق في محل الصفاء والعدل وتأمين حقوق كل الافراد بصورة صحيحة، وعلى هذا الأساس يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إنَّ العدلَ ميزانُ الله الذي وضعهُ للخلق، ونصبَهُ لإقامة الحقِّ، فلا تُخالِفهُ في ميزانِهِ، ولا تُعارضهُ في سُلطانه.»[٦٩]

الاصل الثاني

الغاء التفرقات العنصرية والغير عنصرية

الاسلام دين العدل والمساواة، ويبطل كل التفرقات العنصرية وآية تفرقات أخرى.

التفرقة هي من أحد أنواع الظلم الواضح والبارز التي استخدمت منذ زمن طويل على المستضعفين، وهدرت حقوقهم، وهنا تعتبر التفرقات العنصرية أكبر ضربة على العدل الاسلامي، وباعثة للظلم وعدم العدالة والتجاوزات والانتهاكات المخيفة والموحشة.

وهنا في البداية نشير بصورة مختصرة إلى تاريخ العنصرية والقومية قديماً، والعنصرية الحالية، ثم نتطرق إلى رأي الاسلام في هذا الموضوع.

تاريخ وماضي العنصرية والقومية

لا نستطيع أن نجد بداية معينة للعنصرية في الازمنة الماضية، مثلما لا يستطيع علم الاجتماع أن يجد بداية للاختلاف في العادات والتقاليد ويربطها بزمان معين، فاننا لا نستطيع أن تعرف المبدأ التاريخي لمسألة العنصرية والتي غالباً بنيت على أساس الاختلاف في العادات والتقاليد.

ولكن في هذا البحث تستطيع أن نبحث عن التفرقات العنصرية والقومية في المجتمعات القديمة والشعوب الماضية، ونشاهد مقدار نفوذها في كل الشئون الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية المختلفة للبشر. نرى في هذا البحث أن مسألة العنصرية كانت لها وجود في كل مكان، في اليونان، في مصر والحجاز، في الهند، في الروم وإيران وفي ماضي أوروبا وأمريكا و... وغيرهم.

التفرقات في إيران والروم

مثلاً في الزمن القديم للروم وإيران، بسبب الحكومة الاشرافية والطبقاتية التي كانت تحكمهم،

كانت للتفرقات العنصرية والطبقاتية أهمية خاصة وعالية لديهم، لم تكن شخصية ولياقة الافراد معيار للميـزان عندهم بتاتاً بل كان الاحترام للأشـخاص الذين يتبعون عنـصر وقوم معين وكانت القوانين موضوعة لصالح الأقوام ذوي النسب الرفيع والعالي، وكانت المناصب المهمة والعالية تحت تصرفهم، وبصورة كلية كانت للأفراد ذي النسب الرفيع امتيازات خاصة تفصلهم عن عامة الشعب.

مثلاً قُسم المجتمع الإيراني في زمن «الهخامنشية» إلى أربعة طبقات وهي:

١ - الروحانيين

٢ - الجنود

٣ - المزارعين

٤ - الصنّاع والحرفيين

كانت الأفراد الأريانية (الإيرانيين الاصليين) تختار لها الاعمال الثلاثة الاولى، وكانت تعتبر التجارة والصناعة جزء من الحرف الرديئة والذليلة ومن اختصاص الأفراد ذي النسـب الدنيء والغير الإيراني الأصيل. وأساسـاً كانـت كل الامور وبالأخـص السياسـية والاجتماعية والمذهبية تـدور حول محول العنـصر والنسـب والقوم، وليس من حق أي شـخص أن يحصل على درجة رفيعـة وأعلى من الدرجة التـي تليق بنسـبه وعرقه، حتى الانسـاب الدنيئة لم تكن تسـتطيع شراء أمـلاك الأشراف والأفراد ذي النسب الرفيع، بالإضافة إلى ذلك كانوا يعتبرونهم من المتعدّين والمتجاوزين لحدودهم.

مـن الواضح أن كثير من الناس حُرموا من حقوقهم بسـبب هـذا البرنامج الخاطيء ولجرمهم أنهم ليسوا من العرق الإيراني الأصيل.

وأيضاً في عصر الساسـانية قسـمت النـاس إلى أربعة طبقات وكانوا يظلمـون الطبقة الرابعة (عامة الناس) كثيراً وبلا حدود ويحرمونهم من الامتيازات لأنهم من أدنى وأرذل الطبقات.

وردت حكاية في ديوان الحكيم الفردوسي تبين هذه المسـألة وهني: حينما كان يجهز «أنوشـيروان» جيشـه للمبارزة ضد الجيش الرومي، احتاج إلى ٣٠٠ ألف دينار، فبعث مأموره إلى التجار والمزارعين - والذين كانوا من عامة الناس - لأخذ قرض منهم، فوجد المأمور بائع للأحذية لديه الاستعداد لدفع مبلغ ٤٠٠ ألف دينار كقرض ولكن بشرط أن يسـمح الشـاه لولده اللائق - والذي لديه الاسـتعداد للدخول في العلم - بالبدأ في تحصيل العلم، حتى يصبح مستقبلاً جزء من طبقة المعلّمين.

أخذ المأمور الدراهم وعرض طلبه على الشاه بوسيلة شخص يدعى «بوذرجمهر» رفض أنوشيروان هـذا الطلـب ولقّـب ابـن بائع الأحذيـة بالشـيطان، وقـال لا أعمل هذا الـشيء حتـى لا يلعنوني بعد الموت.

التفرقات العنصرية في مصر والحجاز

كان الوضع أسوء في مصر والحجاز قبل الاسلام، فقد كانوا يهتمون كثيراً بمسألة العرق والقبيلة، بل كانت التعصبات القبلية والأفضلية العنصرية أساس للتعاسة والمفاسد المخيفة والمرعبة، وتبين اشعار وأناشيد الجاهلية والغناء في ذلك الوقت أن الميزان الكبير والعظيم كان يعتمد على العرق والجنس في الحجاز وكان موضوع القبيلة والعرق مسيطر على كل مظاهر وشئون حياتهم.

في تلك الأيام لم يكن في مجتمع العرب افتخار غير الافتخار بالعرق والنسب، والافتخارات العلمية والاخلاقية لم تكن لها معنى بينهم.

وأيضاً كانت التفرقات العنصرية بين شعب مصر مسيطرة عليهم، وأدت إلى تمزقات وطبقات مختلفة بفواصل كثيرة بينهم.

كان أسلوب التعامل للنسب الأفضل والاقوى بالنسبة إلى النسب الضعيف والهابط أقسى من القصّاب مع البقر والغنم، وكانوا يأخذون الاعراق الضعيفة بعنوان العبيد، وأحياناً كانوا لا يقبلون بهذا العنوان أيضاً – العبيد – وإنما يقتلونهم بكل نذالة وقباحة بجرم أنهم اسود أو أحمر الوجه.

نعم، إن لون البشرة له تأثير ليس فقط على تضييع كثير من الحقوق الانسانية وإنما بمحض أن يجدوا رجل حُمر، يقتلونهم.[٧٠]

وأيضاً كان الوضع في الهند وأفريقيا الجنوبية على هذا المنوال بل أسوء ولا يزال مستمر.

ماضي التعصب العنصري في أوروبا وأمريكا

كانت أوروبا وأمريكا غارقة بالخرافات والأوهام والتي نشأت غالباص من التعصب العنصري، وبناءاً على قول «منتسكيو» الحقوقي المعروف: «هكذا نستطيع أن نرسم الرجال السود من وجهة نظر الأوربيون: كل شيء فيهم أسود، وأنفهم كبير جداً، إلى درجة أنه من المستحيل من يرى هذا المنظر يرق قلبه عليهم، ولا نستطيع أن نرسخ هذه الفكرة في ذهننا بأن الخالق العاقل وضع مثل هذه الروح الطيبة في جسم بهذا السواد».

أيضاً هذه الفكرة كانت موجودة في أمريكا قبل الغاء الاستبعاد بل أكثر شدة بخصوص السود وكانت تُجرى عليهم أقسى الأعمال.

ولا يزال هذا الوضع مستمر في جميع أنحاء أمريكا بصور مختلفة، مع أنه قد مرت سنوات على إعلان حقوق البشر، ولم يُقض على التفرقات العنصرية والعرقية ولم تُعرف عملياً حقوق الافراد بصورة متساوية، ومع اطلاق الصاروخ إلى الفضاء وتشكيل جمعية حماية الحيوانات، والاعتراضات

الشـديدة بالنسـبة لأذية «كودري ياوكا» - الكلب الصغير الذي بُعث إلى الفضاء مع أسـبوتنيك الثاني الروسي السـابق في ١٢ آبان لسنة ١٣٣٦ شمسـية - كانت تُجرى جنايات وانتهاكات وتجاوزات ظالمة على السود من قبل البيض المتمدّن أعضاء هيئة الامم المتحدة.[٧١]

وعلى هذا الاسـاس، فإن مسـألة التعصّب العنصري لا تزال في كثير من الدول في الماضي والحاضر باعثة للمشاكل وضياع حقوق البشر، وتعتبر من العوامل المؤدية إلى الجنايات.

التفرقات العنصرية في أمريكا في العصر الحاضر

تعتـبر التفرقات العنصرية في أمريكا من أبرز المسـائل المعضلة والتـي تواجهها الحكومة هناك، ولا تزال الخلافات مستمرة بشدة بسبب الاختلافات العنصرية ولم يتراجع البيض المتمدّن عن هذه المسألة الخرافية الموهومة ومشاركة السود بصورة متساوية في المزايا والحقوق الانسانية والاجتماعية.

«هـاري هاريـود» الكاتب الامريكي الكبير يقـول في كتابه «تحرير الزنـوج»: «صحيح أن العبودية التي كانت متداولة في العصور الوسـطى قد اختفت، ولكن لا تزال باقية في النظام الاجتماعي بصورة طبقات، ويُسعى إلى وضع السود في المستويات الهابطة، وأحياناً في طي القوانين تُهدر حقوقهم بصورة ظالمـة، وفي بعـض الأوقـات يُحكم على السـود عن طريق النـاس دون الاعتناء بظاهـر جهاز الحكومة وأحياناً بدون أي اطلاع وبلا مبالاة على أقل حجة ودليل يقتلونهم».

يقـول الكاتـب الامريكي المشـهور «آلـبراكان» في كتابه «هزيمـة الديمقراطية في الدنيـا الجديدة»: «في أغلـب ولايـات أمريـكا بصورة قانونية يجب على المسـافرين السـود والبيض في القطار والسـيارة الانفصال عن بعض ويتم استقبال وتمريض كل صنف بصورة منفصلة في المستشفى.

وقـد وصل هوس وجنون التفرقة إلى درجة أن الكتب الخاصة بالسـود توضع في المكتبات بصورة منفصلة. ولا يحق للاسود أن يدخل من الباب الذي ورد منه الابيض».[٧٢]

ومـع هـذا الوضـع فإنـه يعيـش في أمريـكا نحـو ١٧٩,٣٢٣,٠٠٠ أمريكـي ومنهـم نحـو ١٨,٨٧١,٠٠٠ أسـود اللـون ويعيـش نحـو ١٠٠,٠٠٠ أسـود اللـون في ١٦ مدينـة في الولايات المتحدة الأمريكية.

إن مسـألة التفرقـات العنصريـة في أمريـكا حدة لدرجـة أن الرئيس الجمهوري السـابق الأمريكي «جان اف كندي» جعل نفسـه فداءاً في هذا الطريق، وكان ضد التعصب العنصري وقام بحماية السـود ونهضتهـم في طول السـنوات الثلاثـة والتي حصل فيها زمـام الحكومة. ولكن لم يمكـث طويلاً حتى أُغتيل وقُتل في مدينة «دالاس» على يد المخالفين بشدة لتساوي العنصرية واللون.

وقـد ذكر السـيناتور ادوارد كندي شـقيق الرئيس الجمهوري الامريكـي الفقيد، من ضمن خطابه في مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة في سنة ١٩٦٢ ميلاديه: «إن روح وقلب الاخ الفقيد «جان اف كندي» قلق على لائحة الحقوق المدنية حتى يُقلع جذور التفرقة العنصرية في أمريكا».[٧٣]

وعـلى هـذا الترتيب بعد مدة طويلة من فعاليات السـود ومظاهراتهم إلى واشـنطن ظهرت النتيجة وتـم اعتماد النتيجة وتم اعتـماد لائحة الحقوق المدنية عن طريق مجلس الشـيوخ في أمريكا وبتوقيع من «جانسـون» باكثـر من ثلثي الأعضاء في يونيو سـنة ١٩٦٤ ميلادية، وكانت هـذه اللائحة بمثابة إنهاء لمسألة التفرقات العنصرية في أمريكا.

ولكـن هـذه اللائحة لم تُعمل بها، وكانـت تُجرى على خلافها مثلما قال الدكتـور مارتين لوثر كينك قائد السـود في أمريكا في حديث مع المراسـلين الأجنبيين ببسـمة باردة مملوءة باليأس وفقدان الأمل: «إن وضع أي قانون لتضمين الحرية الاجتماعية وحق الرأي للسود لن يكون له أي تأثير على الحكومة الفعلية للولايات الجنوبية وعلى سبيل المثال ولايات آلاباما والتي هي مقاطعات لـ [دالاس]».[٧٤]

عدم تأثير اعلان حقوق البشر في المجتمعات الامريكية

بالرغـم مـن أنـه بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة وبعد تشـكيل هيئـة الامم المتحـدة، وللتفـادي عن التجاوزات ولتحقيق الحقوق، تم تشـكيل لجنة في أوائل سـنة ١٩٤٦ وتسـمى بـ «لجنة حقوق البشر» وأقدمت هذه اللجنة على كتابة بيان لحقوق البشر وفي النهاية تم اعتماد ذلك العنوان بموافقة ٤٨ عضو من ٥٨ دولة في جلسة مسائية واحدة بتاريخ ١٩ آذار لسنة ١٣٢٧ شمسية والذي يشمل مقدمة و ٣٠ مادة وظهر في العالم كأفضل الحقوق الانسـانية، ومن بعد ذلك أعلنت هيئة الأمم المتحدة رسـمياً هذا اليوم بيوم حقوق البشر.

وبالرغم من أن في القسم الأول من المادة الثانية للاعلان العالمي لحقوق الانسان نصّت على:: «كل شخص يستطيع بدون أي تمييز، وخصوصاً من حيث العنصر، اللون، الجنس، اللغة، المذهب، العقيدة السياسـية، أو ال عقيـدة أخرى أن يسـتفيد من جميـع الحقوق وكل الحريات التـي مذكورة في الاعلان الحالي».

وأتى في جزء من المادة السـابعة التالي: «الجميع متسـاوون أمام القانون ولهم الحق وبدون أي تفرقة وبصورة متساوية أن يستفيدوا من حماية القانون».

ففـي نفـس الوقـت لم تعتنـي الأفراد التـي تؤمـن بالتعصب العنـصري بإعلان حقـوق البشر، ولم تغير أسـلوب وتعاملها السـابق مع السـود، وهي التي قتلت في كونغو المدافع المعروف ضد التعصب

العنـصري السـيد «لومومبـاي» بجـرم حمايته لقانـون حقوق البـشر ومرة أخـرى ارجعـوا «جومبو» جاسـوس الاسـتعمار إلى كنغو بماسـك سـاخر على أنه يدافع عن «لومومباي» وجعلوه رئيس للوزراء تضرب الجيش الوطني «اللوموميبيسسم».[٧٥]

حديث قصير: التفرقات العنصرية لازالت موجودة بشدة أكثر وبصورة مستمرة في أمريكا والدول الأوروبية، وموجبة لتضييع حقوق الملايين من البشر.

رأي الاسلام بالتفرقات العنصرية

لقد أبطل الاسلام من البداية أية تفرقات عنصرية وقومية وطبقاتية، وبارزت ضد أية أمور توجب التفرقة، وأكّد على إلغائها.

وقد طرح الاسلام هذا الموضوع على ٣ أسس عبارة عن:

١ - مساواة البشر في أصل الانسانية.

٢ - المساواة في الحقوق والتكاليف.

٣ - المساواة في الحكم وإجراء القوانين.

مع البحث في تلك المواضيع نستطيع أن نعلم بوضوح عن تأكيد الاسلام على إلغاء التفرقات وهنا نلفت نظركم لهذا البحث.

١ - مساواة الانسان في أصل الانسانية

يرى الاسلام أن كل البشر في أي قبيلة كانوا أو عنصر سواسية، ليس فقط لا يوجد اختلاف بينهم بل يراهم أخوة وأخوات، والمعيار والملاك الوحيد في الافضلية هو العلم والتقوى.

وهناك آيات متعددة في القرآن تبين تساوي البشر في أصل الانسانية وعلى سبيل المثال نقرأ في الأية (٩٢) من سورة الانبياء: ﴿إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

وجاء نظير ذاك المطلب في الآية (٥٢) من سورة المؤمنون.

ونقـرأ في الآيـة الأولى مـن صورة النسـاء: ﴿يـا أَيُّهَا النَّـاسُ اتَّقُـوا رَبَّكُمُ الَّـذِي خَلَقَكُمْ مِـنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ﴾

شرح وتفسير آية في المساواة

قال الله سبحانه وتعالى في الآية (١٣) من سورة الحجرات:

﴿يـا أَيُّهَـا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُـعُوباً وَ قَبائِـلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ﴾

نستفيد بوضوح من هذه الآية مع التوجه للروايات أربعة مطالب وهي:

١ - يرجع نسب البشر إلى أب وأم واحدة، آدم وحواء، وهكذا فأن الجميع من أصل واحد وجذور واحـدة فـلا يوجد معنى للافتخار بالنسـب والقبيلة بين بعضهم البعض والتفرقة بينهم بسـبب ألوان بشرتهم المختلفة.

٢ - إن اختـلاف الألـوان ووجـود القبائـل والشـعوب ليس لتمييـز بعضهم عن بعـض، بل هذه الاختلافـات ليس إلا لمعرفتهم بعضهم ببعض، وبدون هذه المعرفة سـتظهر الهرج والمرج في المجتمع، ومن الضروري وجود الاختلافات الظاهرية لحفظ النظام والأنظمة، حتى يتعرفوا بعضهم ببعض.

٣ - إن معيار أفضلية الانسـان في محضر رب العالمين ليس إلا التقوى والطهارة، فإن أكرم شـخص عند الله سبحانة وتعالى هو الاطهر. وهكذا البشر لا يستطيعون الفخر بأي شيء إلا بالتقوى.

وطبعاً جاءت في آيات أخرى أن العلم هو من الامتيازات (مجادلة -١١) وطرحت الجهاد والمبارزة بعنوان القيم (نسـاء-٩٥) ولكن هذه القيم الحقيقية ليسـت أبداً بمعني اختلاف الانسـان في العنصر والقبيلة، كل انسان سواء من أي قبيلة كانت أو عنصر يستطيع بصورة حرة أن يستفيد من هذه القيم، ويجوز على الامتيازات المعنوية.

٤ - وقد ذكرت هذه الآية شـأن التنازلات والتي تبين مدى عمق هذا الامر الاسـلامي لالغاء أية امتيازات عنصرية وطبقاتية، من جملة ذلك:

في فتـح مكة أمر الرسـولﷺ بالآذان فصعد بلال على سـطح الكعبة وأذّن بالنـاس، تضايق عتّاب بن أسـيد - أحد الأحرار ومحبي التعصب العنصري - بشـدة من هذا المنظر وقال: «أشـكر الله على أن والدي قد ارتحل من هذه الدنيا ولم ير يوم كهذا».

قال حارث بن هشـام والذي كان أيضاً يقتدي نفس الأسـلوب: «ألم يجد رسـول اللهﷺ أحدا غير الغراب الأسود؟».[٧٦]

وآخريـن تحدثـوا بأقاويـلٍ قبيحـة أخـرى، في هـذا الوقت نزلـت الآية السـابقة، فأبطـل كل تلك الامتيازات الجاهلية، وعرّفت التقوى فقط كملاك للامتياز.

وجـاء في نقل آخر، أن أحد أصحاب الرسـولﷺ ويُدعى «ثابت بـن قيس» أراد أن يجلس بجانب الرسولﷺ فلم يفسح له المجال الرجل الجالس بجوار الرسولﷺ فغضب ثابت وقال لذلك الرجل: «يابن فلانه».

قال رسول الله ﷺ: «من الذي قال هذه الجملة يا ين فلانة»؟

قال ثابت: «أنا قلت ذلك يا رسول الله».

قال له رسول الله ﷺ: « انظر إلى وجوه الحاضرين»

فنظر اليهم، قال رسول الله ﷺ: «ماذا رأيت»

فقال: «أبيض، أسود، أحمر اللون، ...»

قال رسول الله: «إعلم أنك لست أفضل منهم بشيء إلا بالدين والتقوى»

وفي هذا الوقت نزلت الآية السابقة.(٧٧)

حديث رسول الاسلام ﷺ عن إلغاء التفرقات العنصرية

كلما اتيحت الفرصة المناسبة للرسول ﷺ تحدث عن القضاء على الامتيازات القبلية والعنصرية هنا نلفت نظركم إلى قبسات من أحاديثه:

١ - قال رسول الله ﷺ في أحد الأيام من ضمن خطبته:

«يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان، رجل برٌّ تقيٌّ كريمٌ على الله، ورجلٌ فاجرٌ شقيٌّ هينٌ على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب»، قال الله تعالى: **﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ﴾**(٧٨)

وأيضاً قال: « إنّ الله لا ينظر إلى أحسابكم، ولا إلى أنسابكم، ولا إلى أجسامكم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم فمن كان لكم قلبٌ صالحٌ، تحنَّنَ اللهُ عليه، وإنّما أنتم بنو آدم وأحبّكم إليه أتقاكم».(٧٩)

وأيضاً جاء في الرواية أن الرسول ﷺ في أيام التشريق (أيام ١١، ١٢، ١٣ من ذي الحجة) في أرض منى توجه للناس وهو راكب الجمل وقال:

«يا أيها الناس ! ألا إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا لأسودٍ على أحمرٍ على أسودٍ إلا بالتقوى، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم. قال: لِيَبلَغ الشاهد الغائب».(٨٠)

ردة الفعل القوية لرسول الله ﷺ على المعترض المتعصب قومياً

في أحد الأيام دخل سلمان على الرسول ﷺ، فقاموا الحاضرون احتراماً له وأجلسوه في صدر

المجلس، وهنا دخل عمر بن الخطاب وعندما وقع نظره على سلمان قال: «من هذا العجمي» المتصدّر فيما بين العرب ولازالة مثل هذه الفكرة صعد الرسول ﷺ المنبر وألقى خطبة وقال في عبارة: «إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى».(٨١)

ردة الفعل القوية للامام عليّ عليه السلام مع أشعث المتعصب قوميا

في عصر خلافة أمير المؤمنين، اجتمع مجموعة من الايرانيين - ويُدعون بالعجم والحمراء - في يوم جمعة عند منبر عليّ عليه السلام وكانوا يستمعون لأقوال أمير عليّ عليه السلام: «يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على وجهك»

غضب أمير المؤمنين من وقاحة أشعث وقال:

«من يعذرني عن هؤلاء الضيّاطِرَة ينحلف أحدهم ينقلب على فراشه وحشاياه كالعير ويهجّر هؤلاء للذكر، فيأمرني أن أرُدهم فاكون من الظالمين، والذي فلق الحبّة وبرء النسمة لقد سمعت محمّد ﷺ يقول ليضربنّكم والله على الدّين عوداً كما ضربتموهم عليه بدواً».(٨٢)

حديث قصير: لقد وُضع منهج الاسلام ومنهج كل الانبياء على أسا العدالة وإلغاء التفرقات والطبقات لتأمين حقوق المستضعين وكل الطبقات وحماية حقوقهم من الضياع.

الشيء المهم في الاسلام هو الذي يرتبط بالمذهب فهي مطرودة من الاسلام، مثلما ورد عن ابن نوح عليه السلام عندما خاطبه الله سبحانه وتعالى وقال:

﴿يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ﴾(٨٣)

النتيجة: إن الاسلام مخالف لك التفرقات العنصرية والقومية ويعتبر كل البشر سواء في أصل الانسانية حتى ينال الجميع حقوقهم بصورة واحدة وحتى لا يضيّعوا حقوق بعضهم البعض بسبب التفرقات العنصرية.

٢ - المساواة في الحقوق والتكاليف

المسألة الاخرى في مجال إلغاء التفرقات العنصرية هي مساواة كل البشر في الحقوق والتكاليف في نظر الاسلام وعلى سبيل المثال: مثلما الزنا، اللواط، الرشوة، الانتحار و ... وغيرهم حرامٌ على عامل عادي أو فقير أسود اللون، فإنه أيضاً حرامٌ على الثري والغني والدكتور والمهندس، ومثلما إطاعة الله سبحانه وتعالى واحترام حقوق الآخرين واجب على الفرد العادي، أيضاً أينما جاءت في القرآن هذه

العبارات «يا أيُّها النّاسُ» أو «يا بَني آدَمَ» أو «يا أيُّها الذينَ آمنوا»، فهي شامله لجميع أجناس البشر دون تفرقة بينهم.

قال رسول الله ﷺ: «الخلق أمام الحق سواء»(٨٤)

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في بداية خطبة:

«الحق لا يَجري لأحدٍ إلى جَرى عليه، ولا يَجري عليه إلى جرى لَهُ».(٨٥)

وأيضاً كتب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من ضمن كتاب إلى قائد جيشه في الحُلوان:

«فليكن أمرَ الناسِ عندَكَ في الحقِّ سواءٌ».(٨٦)

وأيضاً كتب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من ضمن كتاب إلى جيشه المسلّح: «وأن تكُونُوا عندي في الحقِّ سواءً».(٨٧)

تشرف رجل أعجمي وامرأة عربية خدمة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لأخذ الغنيمة وطلباً حقهما، فأمر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بمبلغ معين وأعطاهما، اعترضت المرأة العربية لمساواتها مع الاعجمي في العطية، فقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«إنّي لا أرى من هذا الفيءِ فضيلة لبني اسماعيل على غيرهم».(٨٨)

وجاء في نهج البلاغة أنه وصل إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام خبر عن قائد مدينة «أردشير خرّه» (أحد مدن فارس) والذي يسمى بـ«مصقلة بن هُبيره شيباني» أنه فرّق في تقسيم بيت المال بين الاعراب وغيرهم، فبعث إليه رسالة شديدة اللهجة، وكتب في مقطع منها:

«ألا وإنّ حق من قِبلَكَ وقِبلنا من المسلمين في قسمة الفيءِ سواءٌ، يَردون عندي عليه، ويَصدِرون عنه.»(٨٩)

٣ - المساواة في الحكم وإجراء القوانين

من أحد الحقوق الفطرية والتي يقبلها العقل أنّ كل البشر - بدون استثناء - يكونوا سواء أمام المحكمة الاسلامية والقوانين الجزائية، والعدالة القضائية تشمل الجميع بدون تفرقة، ولا يكون هناك فرق بين الاسود والابيض، العرب والعجم، الفقير والغني.

فإن مثل هذه الجملة «القانون للجميع» مقبولة في الدنيا كلها كقول حسن ومناسب، ولكن من الناحية العملية في كثير من الموارد لا تُعمل بها وتعمل على خلافها.

مثل قانون «وِتُو» لأمريكا الذي يعتبر من أقبح قوانين أمريكا والذي وُضع على أساس من الظلم والاستبداد ولا يقبله أي عقل وضمير ولا الاديان الإلهية.

والاسلام الذي هو مذهب كامل عالمي أكّد كثيراً في هذا المجال لم ينص بتاتاً على التفرقة بين الافراد في القضاء.

في العالم اليوم وان كان قد أصدر اعلان حقوق البشر على أساس المصالح فإن بكل أسف عُملت به فقط على المستضعفين والدول الضعيفة، ولكن الجبارين خالفوه عمليا، بيْد أن في الاسلام وفي مذهب الانبياء والرسل عليهم السلام بصورة كاملة الجميع سواسية أمام القانون والحكم وأي نوع من التفرقة ممنوعة في هذا المجال.

وبصريح العبارة يقول القرآن:

﴿... وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (نساء-٥٨)

وأيضاً يقول:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أَنْ تَعْدِلُوا وَ إِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾

شرح قصير: في هذه الآية تم توضيح توجه الاسلام بالنسبة للعدالة الاجتماعية والقانون للجميع بأي شكل كان بصورة كاملة، ومنع أية وساطة وانحراف في التحكيم لترجيح الاهل و ... وغيرهم.

وفي آخرها أكّدت بالتحذير والجزاء الالهي الصعب حتى لا يمنع أي شخص وصول الحق لصاحبه، وحتى لا يجبره أي موضوع لاعراض الحق لأن الله سبحانه وتعالى خبير وعليم بالنوايا والعزائم.

إن من عوامل الانحراف عن الحق في مسألة القضاء أو إجراء القانون عادةً هي عاطفة القرابة أو الثروة أو حفظ المنافع الشخصية وفي الآية السابقة طُرحت هذه المواضيع الثلاثة لكي لا تجعل المنافع الشخصية أو القرابة أو الصداقة أو الثروة والفقر تؤثر في الانحراف عن القانون وفي القضاء الغير عادل.

إن حب الذات وعواطف القرابة والمحبة وجذب الثروة والعطف إلى الفقير، يجب أن لا يكونوا مانعاً أمام الحكم للحق وإجراء العدالة.

ومن أحد موانع القضاء بالحق وإجراء العدالة والتي هي نبع المظالم والجور والانحراف هي الهوى، ومن هذا المنطلق أكدت الآية السابقة على هذا الموضوع وهو أن لا تتبعوا الهوى حتى لا يكون مانع أمام إجراء العدالة.

﴿فلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾

نماذج من الروايات الاسلامية عن المساواة في القانون

لاكمال هذا البحث نلفت نظركم إلى عدة نماذج من الروايات التي جاءت بخصوص المساواة في القانون وطرد التفرقة في هذا المجال.

إجراء الحد بالتساوي في سيرة الرسول ﷺ

في عصر رسول الاسلام ﷺ، قامت امرأة وتُدعى فاطمة من قبيلة بني مخزوم والتي هي من القبائل المعروفة في الحجاز بالسرقة، فتضايقت بني مخزوم من ذلك لأن في حكم الاسلام يجب أن تقطع يدها ومثل هذا العمل يجلب لهم الفضيحة وباعث للخجل، بدأوا بالاستشارة بعضهم ببعض حتى يجدوا حلاً لهذه القضية، وفي النهاية وصلوا في مشورتهم إلى أن يبعثوا أسامة بن زيد – والذي كان من المحبوبين عند رسول الله ﷺ – كواسطة للمرأة وللشفاعة عنها عند رسول الله ﷺ، فبلّغوا أسامة بالموضوع، واستجاب أسامة لطلب رؤساء قبيلة بني مخزوم وابلغ ذلك للرسول ﷺ وتشفع عنها.

فقال الرسول ﷺ بكل صلابة وقاطعية وتوبيخ لأسامة:

«هل تريد أن تشفع لتعطيل الحدود الالهية؟»

وحتى يوضح هذا الموضوع لعامة الناس قام وألقى خطبة في جماعة من المهاجرين والانصار وقال: «لقد هلك الناس من قبلكم وتشت قوام حياتهم ومعيشتهم وكان ذلك بسبب أنه إذا ارتكب شخص صاحب نفوذ خلاف، لم يُجرى عليه القانون ولكن كان يُجرى على أرفاد الضعيفة، والله لو سرقت ابنتي فاطمة لقطعت يدها.»[٩٠]

وعلى هذا الترتيب فإن الرسول ﷺ رفض بكل قاطعية التفرقة في القضاء وإجراء القانون.

وأيضاً جاءت في الرواية أن جارية قامت بالسرقة من قبيلة ما، فجاء القوم عند أم سلمة إحدى زوجات الرسول ﷺ وطلبوا منها أن تتوسط عند الرسول ﷺ حتى لا يقيم عليها الحدّ الالهي.

توسطت أم سلمة عند الرسول ﷺ، فرفض الرسول ﷺ وساطتها وأجرى حدّ السرقة على الجارية وقال لأم سلمة:

«هذا حدٌ من حُدودِ الله عزَّ وجلَّ، ولا تشفَع في حقِّ امرءٍ مسلمٍ أو غيره إلا بإذنه.»[٩١]

قاطعية عليّ عليه السلام في إجراء الحدّ على أحد أصدقائه

كان النجاشي من أقرب الاصدقاء عند الامام عليّ عليه السلام يمدح أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالاشعار وكان يحارب أعداء أمير المؤمنين في الحروب.

وفي شـهر رمضان شرب خمر على أثر وسوسـة شخص سيء السلوك ومنحرف، فعلم أمير المؤمنين بذلـك وأحضره وبعد التحقيق وإثباتـه القاطع على شربه للخمر، ضربه ٨٠ جلدة كحدّ لشرب الخمر ثم سجنه ليلة واحدة، وبعد ذلك الليلة أحضره وضربه ٢٠ جلدة أخرى، فقال: «بالامس أُجري عليّ حدّ شرب الخمر (والذي كان ٨٠ جلدة)، إذن لماذا هذه العشرون جلدة؟»

قال عليّ عليه السلام: «هذا لِتَجرِّيكَ على شُربِ الخَمر في شهرِ رمضان»[٩٢]

تبـين هـذه الحادثة أن أمـير المؤمنين عليّ عليه السلام لم يُفرق بـين الصديق وغير الصديـق في الحكم وإجراء القانون، ويعتبر كل الأفراد سـواء أمام القانون، فتضايق البعض من أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بسـبب هذه الحادثة، وكان أحدهم طارق بن عبدالله والذي جاء مع مجموعة إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا لعليّ عليه السلام:

«نحن لا نرى صلاح في أن يتسـاوى عندك الصديق والعدو، والفاسـق وغير الفاسق، ولالتزامك بهذا الاسـلوب فقد أجريت الحّ على نجاشي أحـد الاصحاب وهذا خلاف للعقل والتدبير الحاكمي، وقد امتلأت قلبنا بالغضب من هذه الحادثة وأنت بهذا العمل تُفرق جمعنا وتحرّفنا عن طريق الحق»

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«إنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين، يا أخا بَني نَهد هل هو إلا رجلٌ من المسلمين انتهك حرمة من حرمة الله، فاقمنـا عليـه حدّهـا زكاة له وتطهيراً؟ يـا أخا بني نهد أنّه من أتى حـدّاً فأُليم (أي: حصل له وجع لأجل الحدّ) كان كفّارته، يا أخا بني نهد إنّ الله عزّ وجلّ يقول:

﴿وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى﴾ (مائدة-٨)»

لم تعجب طارق البيانات الشـديدة الصلابة والقاطعة لأمير المؤمنين، لأنه حتى الآن لم يفهم معنى العدالة الاسـلامية، ولم تُطهر رسـوبات الجاهلية في قلبه، ولهذا السـبب هرب مع النجاشي من سـيف عدالة عليّ عليه السلام والتحق بمعاوية.[٩٣]

رعاية شئون القضاء الاسلامي في سيرة عليّ عليه السلام

لقـد كان أمـير المؤمنين عليّ عليه السلام دقيق جداً في حفظ حقوق الناس إلى درجة أنه قال في حديث لمحمد بن أبي بكر عندما جعله حاكم على مصر:

«وآسِ بينهـم في اللحظـة والنظـرة حتـى لا يطمع العظماء في حيفِـكَ لهم، ولا ييـأسَ الضعفاء من عدلك عليهم.»[٩٤]

في عـصر خلافـة عمر، جـاء رجل إلى عمر واشـتكى من عـليّ عليه السلام وأراد أن يحكـم بينهم، فخاطب عليّ عليه السلام وقال: «يا أبا الحسن فاجلس مع خصمك»

فتضايق علـيّ عليه السلام م تعبير عمر لدرجـة أن آثار الضيق ظهرت على وجهـه، قام عليّ عليه السلام وجلس عند خصمه.

قال عمر: «لماذا أراك مهموماً؟»

قـال علـيّ عليه السلام: «لمـاذا دعوتنـي بكنيتي وباحـترام عند الخصـم؟ .. ، لمـاذا لم تقل يا علـيّ اجلس مع خصمك، لماذا فرّقت بيني وبين خصمي عند المخاطبة في جلسة القضاء.»(٩٥)

ومن أحاديث عليّ عليه السلام:

«من أبتلي بالقضاء فليواس بينهم في الاشارة والنظرة وفي المجلس».(٩٦)

النتيجـة: لتحقيـق الحقوق والحيلولة عـن تضييعها يقول الاسـلام: يجب مراعـاة الأصول الثلاثة التالية بصورة كاملة وتامة وهم:

المساواة في أصل الانسانية، المساواة في الحقوق والتكاليف، والمساواة في الحكم وإجراء القوانين.

الأصل الثالث

الحقوق المتقابلة بين الحاكم والشعب

تأمين الحقوق في ضوء الحاكم العادل والعالم

مـن أحـد العوامل الاساسـية والعميقة لتأمـين الحقوق المختلفـة للافراد هو إقامـة حكومة العدل والحاكـم العـادل والأمـين الخبـير حتـى يسـتطيع كل الشـعب الوصـول إلى حقـه في ضـوء إمكانات وارشادات وبرامج تلك الحكومة ويحس كل فرد من الشعب بالامان والطمأنينة ويستفيد من قدراتها في وضع حائل أمام ناكري الحق ومعدمي الحقوق ويغلق وينتصر على المشاكل الحقوقية.

الحكومة العادلة هي التي تكون مانعاً أمام الأقوياء والمسيطرين، وتأخذ حقوق الفقراء من الاثرياء وتجري الحقوق المختلفة للمجتمع.

على سـبيل المثال، جاء في تاريخ سـيدنا يوسـف عليه السلام أنه عندما خرج من السجن وبسبب تعبيره لمنام ملـك مـصر، حصل عـلى منصب اجتماعي وسـياسي مهم، وقال لملك مـصر: ﴿اجْعَلْنِي عَلـى خَزائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف-٥٥)

نسـتفيد مـن هذه الآية القرآنيـة أن هناك خصلتين لازمتين لمرشـد المجتمع وهمـا «الأمانة والعلم» وحقـاً إن أمانة المرشـد، توجب حفظ حقـوق الناس وعلمه للامـور الاقتصادية والسياسـية والنظام باعث لحفظ أموال وأوقات الشعب وعدم تلفها وهدرها، والعمل في الطريق الصحيح.

إن تأمين حقوق أفراد المجتمع ليست إلا سلامة الحقوق وعدم الضرر بها في ضوء الامانة والعلم، وفي الآية رقم (٢٥) من سورة الحديد يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾

ولكـن على أية حال في أية مجتمع انسـاني مهـما تكون الاخلاق عالية والاعتقـاد والتقوى عالي فإنه لا بـد أنه سـتظهر أفراد يقومون بالطغيـان والقتل وتضييع حقـوق الآخرين ويمنعون إجراء القسـط

والعدل، ويقول الله سبحانه وتعالى مباشرة بعد تلك الآية:

﴿ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ﴾

المقصود من الحديد هو سيف عقوبة المنتهكين للقانون والمعدمين للحقوق، وبكل تأكيد سيصل المجتمع إلى حقوقه إذا حصل على ضمان لإجرائها كاملاً ومثل هذا الضمان لا يتحقق إلى بالحكومة العادلة، لذا لمنع عوامل تضييع الحقوق تحتاج إلى الحكومة العادلة وسيف العقوبة وقوانين جزائية حتى تستفيد الناس من منافع حقوقها.

وإذا صممت مجموعة من المهاجمين أو الخارجيين تضييع حقوق الناس، فإن الحكومة العادلة ستقوم بصدهم وردعهم بامكانياته النظامية وإلا ستضيع حقوق الناس، وعلى كل حال يجب السيطرة على النزاعات المختلفة بين الناس والناتجة من صفة الانانية والطغيان وللسيطرة على تلك النزاعات المختلفة بين الناس والناتجة العادلة والحاكم العادل لأن هذه هي فلسفة ظهور الحكومة والحاكم.

ولهذا فإن مسألة المرشد في الاسلام من الاركان المهمة في المجتمع، وقدرها وشأنها أعلى من الصلاة والصوم والزكاة والحج ومسألة المرشد الصحيح مهمة جداً في الاسلام، مثلما نقرأ في الحديث المعروف، قال الامام الصادقعليه السلام: «بُنِيَ الاسلام على الخمس، على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية»

سأل زُرارة أحد طلاب الامام الصادقعليه السلام: «وأي شيء من ذلك أفضل؟»

قال الامام الصادقعليه السلام: «الولاية أفضل لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن».

فلذلك يجب تشكيل الحكومة العادلة لتحقيق شعارات الاسلام وقيمها العالي الانسانية ومنها تأمين حقوق كل البشر، ومثل هذه الحكومة تصبح الأساس لمناهج وصول الحقوق إلى أصحابها وتمنع عوامل تضييع الحقوق، وبصورة كلية فإنه غير ممكن تأمين حقوق كل جوانب الانسان إلا بالحكومة العادلة.

الحقوق المتقابلة بين المرشد والشعب

لتحقيق وتأمين حقوق البشر يجب إيجاد رابطة عادلة ومحكمة وعاملة بين الشعب والمشد، وكل منهما يعلم وظيفته ومسئوليته ويسعيان لتأمين حقوق كل مهما ولتوضيح ذلك المطلب يجب أن نتوجه إلى الروايات الآتية:

١ - قال أمير المؤمنين عليّعليه السلام: «العدلُ قوامُ الرّعية وجمال الولاة»[٩٧]

٢ - وأيضاً قال: «عدلُ السلطان خيرٌ من خصبِ الزمان»[٩٨]

٣ – وأيضاً قال: «لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمتُهُ، ولا الجهلُ فيُضلّهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفاته، ولا الحائف الجائف للدّول فيتّخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطّل للسنّة فيهلك الامّة.»[٩٩]

٤ – ومن الاحاديث الجامعة لأمير المؤمنين عليّ(ع) عن الحاكم والشعب:

«وأعظم ما افترض – سبحانه – من تلك الحقوق، حقُّ الوالي على الرّعية، وحقّتُ الرّعيّة على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه، لكلّ على كلٍّ، فجعلها نظاماً لألفتهم، وعزّاً لدينهم، فليست تصلح الرّعيّة إلا بصلاح الوّلاة، ولا تصلُحُ الولاة إلا باستقامة الرّعية، وإذا أدّت الرعية إلى الوالي حقّه، وأدّى الوالي إليها حقّها عزّ الحقُّ بينهم، وقامت مناهج الدّين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على إذلالها السّنن فصلح بذلك الزّمان، وطُمع في بقاء الدّولة، ويئست مطامعُ الاعداء، وإذا غلبت الرّعية واليها، أو اجحفّ الوالي برعيّته اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال في الدّين وتُرك محاجُّ السُّنن، فعُمل بالهوى، وعُطّلت الاحكام، وكثرت علل النّفوس، فلا يُستوحش بعظيم حقٍّ عُطّلَ، ولا لعظيم باطل فُعِلَ، فهنالك تّدلُّ الابرار، وتعزُّ الاشرار، وتعظمُ تبعاتُ الله سبحانه عند العباد».[١٠٠]

٥ – حديث للامام الحسين(ع) عن الحاكم المناسب والجدير

قال الامام الحسين(ع) في عبارة من أحد خطبه في حادثة كربلاء: «فلعَزى ما الامامُ إلا الحاكمُ بالكتاب، القائمُ بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله»[١٠١]

نستنتج من المطالب المذكورة أن الحاكم العادل والروابط الحسنة بين الحاكم والشعب له دور مهم جداً في تحقيق الحقوق، حينما يراعى الحاكم والشعب حقوق كل مها الآخر.

ولمزيد من الإيضاح عن الحقوق بين الحاكم والشعب، نلفت نظركم إلى رسالة العهد لمالك بن أشتر والتي وردت في نهج البلاغة، وتعتبر من أحد المناهج العميقة والجامعة ومرجع للحكومة والاحكام، وهذه عبارة من تلك الرسالة: «وليكن أحبُّ الامور اليك أوسطها في الحق، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضى الرّعية، فإن سُخط العامّة يُجحف برضى الخاصّة، وإنّ سُخطَ الخاصّة يُغتفر مع رضى العامّة.»[١٠٢]

حديث آخر عن الرابطة بين الوالي والرعية

من أحد أوامر أمير المؤمنين عليّ (ع٩ لمحمد بن أبي بكر عندما جعله حاكم على مصر:

«احِبَّ لعامّة رعيّتك ما تُحبّ لنفسك واهل بيتك، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك، فإن ذلك أوجب للحجّة وأصلح للرّعية.»[١٠٣]

قال الامام الصادقعليه السلام: «ثلاثة تجب على السّلطان للخاصّة والعامّة، مكافأة المحسن بالاحسان، ليزدادوا رغبةً فيه، وتعمُّدُ ذنوب المسيء ليتوب ويرجع عن غيّه، وتألّفهم جميعا بالاحسان والانصاف.»[١٠٤]

يقول الامام موسى بن جعفرعليه السلام عن علاقة الشعب العاطفية للحاكم: «إن السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فأحبّوا له ما تحبّون لأنفسكم، وأكرهوا له ما تكرهون بأنفسكم.»[١٠٥]

قال أمير المؤمنين عليّعليه السلام: «حقٌّ على الامام أن يحكم بما أنزل الله، وأن يؤدي الامانة، فاذا فعل ذلك، فحقٌّ على الناس أن يسمعوا له وأن يطيعوا وأن يجيبوا إذا دُعوا.»[١٠٦]

نماذج من أسلوب وسلوك الحاكم والشعب لتحقيق الحقوق

كان للرسولصلى الله عليه وآله والائمة أهل بيتعليهم السلام الذين هم الحكّام الحقيقيين من عند الله سبحانه وتعالى سلوك وأسلوب خاص لاحقاق حقوق الناس، وقد أبعدوهم الظالمين الجبّارين عن حكومة العدل الإلهي، ولكن الرسولصلى الله عليه وآله والامام عليّعليه السلام والامام حسنعليه السلام في برهة من الزمن أخذوا بزمام الحكومة وتولوا الحكم.

وكانت من أحد أهدافهم المهمة في هذه الفترة هي تحقيق حقوق الناس وبالنسبة لحكومة سيدنا وأمامنا المهدي (عج) العالمية أيضاً مسألة الحقوق هي في رأس قائمة برامجه.

ولمعرفة أهمية الحقوق في سيرة الرسولصلى الله عليه وآله والائمةعليهم السلام وكيفيتها، نعطف أنظاركم إلى قبسات من أساليبهم وطرقهم.

إقدامات الرسولصلى الله عليه وآله لتأمين الحقوق

في حياة الرسولصلى الله عليه وآله نرى المئات والالوف من المواقف التي تحكي عن الاقدامات الجدية للرسولصلى الله عليه وآله بأساليب وطرق مختلفة لحفظ حقوق المجتمع، وكنموذج نتطرق إلى ذكر موقفين من مواقفه أحدهم يرتبط بالدفاع عن حقوق مسلمٍ تم تحقيره، والآخر يرتبط بأحد الحقوق والرموز النظامية:

١ - الدفاع عن حق مسلم تم تحقيره

في يوم كان سلمان جالس عند الرسولصلى الله عليه وآله، جاء شخص وابعد سلمان بكل وقاحة عن الرسولصلى الله عليه وآله

وجلس مكانه، غضب الرسولﷺ إلى درجة أنه احمرت عيناه وبلهجة حادة قال للرجل الوقح:

«أنت أبعدت رجلاً عن مكانه الذي الله سبحانه وتعالى في السماء، ورسول الله في الارض يحبه، ومراراً أعلن محبته له، أنت أبعدت رجلاً الذي عندما ينزل عليّ جبريل يأمرني بأن أبلغ سلام الله له، ألا تعلم أن سلمان منّي، من جفاه فقد جفاني، ومن آذاه فقد آذاني، ومن أبعده فقد أبعدني، ألا تعلم من سلمان؟ أمرني الله بأن أعلمه أخبار حوادث المستقبل».

بعدما اعتذر ذلك الرجل الوقح قال: أم يكن سلمان مجوسي ثم أسلم؟

قال الرسولﷺ: «لا، لم يكن مجوسي، ولكن للتقية ولحفظ نفسه من الموت كان يظهر الشرك في حين أنه باطنياً كان مؤمناً وموحداً ....» .[١٠٧]

٢ - الاقدام الجيد للرسولﷺ لحفظ الحقوق النظامية

«حاطب بن أبي بلتعه» كان من أحد أصحاب الرسولﷺ الشجعان، وكانت له سوابق مُنيرة ومشرقة، ومنها: أنه أسلم في مكة، وهاجر لوحده إلى المدينة وترك أهله وأمواله في مكة.

اجتمعوا مشركي قريش واقترحوا لأهله في مكة بأن يكتبوا رسالة إلى حاطب، حتى يعلّمهم حاطب في جواب تلك الرسالة عن تصميم وتخطيط الرسولﷺ بالنسبة لجمة المسلمين على مكة وفتحها، فكتبوا رسالة وبعثوا المشركين تلك الرسالة مع غانية اسمها سارة إلى المدينة، وصلت سارة إلى المدينة متخفية بصورة فقيرة، وأوصلت الرسالة سراً إلى حاطب وانتظرت الرد، فكتب حاطب رسالة قصيرة وأعطاها لسارة، وفي الجواب أفشى للعدو أحد الأسرار النظامية لجيش الاسلام، وكان ذلك السر هو: «إن للرسولﷺ نية وعزم على الحرب وفتح مكة».

أخذت سارة الرسالة وبصورة خفية خرجت من المدينة وهربت إلى مكة، علم الرسولﷺ عن الحادث بالوحي، وأمر لثلاث أشخاص وهم عليّعليه السلام، زبير ومقداد حتى يتحركوا بسرعة ويلحقوا تلك المرأة في طريقها ينما كانت ويمسكونها ويخذون منها الرسالة.

تحركوا هؤلاء الثلاثة جنود الاسلام ووصلوا إلى مكان اسمه «روضة خاخ» ومسكوا تلك المرأة، ففتشوها وأخيراً أخرجت الرسالة من حذائها بعد الخوف من تهديد الامام عليّعليه السلام وأعطتها لعليّعليه السلام وباستعجال عاد عليّعليه السلام إلى المدينة وأوصل الرسالة إلى الرسولﷺ وتم توقيف سارة عن الحركة

أحضر الرسولﷺ حاطب وقال له: «هذه الرسالة لك، لماذا فعلت ذلك؟»

اعتذر حاطب وقال: «الحقيقة هي أنني منذ اليوم الأول الذي أسلمت فيه إلى الآن لم أخونك قط ولكنني فعلت ذلك حتى لا يصل أذى المشركين إلى أموالي وأهلي وأحبائي».

وفي هذه اللحظة نزلت الآيات الأولى لسورة الممتحنة في توبيخ حاطب لإفشائه السر، والتي نقرأ فيها:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ...﴾

قام أحد أصحاب الرسولﷺ وقال: «يا رسول الله ! آذن لي حتى أقطع رقبته هذا المنافق»

ولكن لأن حاطب اعتذر وقال: «إن هذا العمل لم يكن لمحبتي للكفار وإنما كان لحفظ أموالي وأقربائي من أذى العدو» ولأن كان لحاطب ماضي مشرق ومنير وكان من المحاربين في معركة بدر، صرف النظر عنه رسول اللهﷺ وقال: «إنه من المحاربين في بدر، ولله نظرة لطف خاصة بهم».[١٠٨]

ولكن حُكم على حاطب لأنه خان الحقوق النظامية للناس، وفقد مركزه السابق.

وكان هذا نموذج لتصرف الرسولﷺ الشديد مع مخالفين القانون ومُضيعين الحقوق ومثل هذه النماذج كثير في حياة الرسولﷺ.

النتيجة والخلاصة: من الآيات والروايات المذكورة فيما سلف وغيرها من الروايات والآيات نفهم بصورة كلية أن كل من المرشد والشعب أو بتعبير آخر الحكومة والناس التابعة لتلك الحكومة، لديهم حقوق كلّ على الآخر.

إن حقوق الناس على المرشد وممثلي الحكومة كثيرة منها:

أن يكون لديه العدالة، الاحسان، العلم، السخاء، الامانة في حفظ بيت المال، التوجه لحقوق الناس، التواضع، عدم تعطيل الأحكام او الحدود، تحصيل رضا الناس، وترجيح عموم الناس على الخواص و ... وغيرها.

وأمّا من بعض حقوق المرشد ونوّابه على الناس هي:

١ - البيعة والتعهد.

٢ - النصيحة وحب الخير للمرشد.

٣ - اطاعة أوامر المرشد.

٤ - الحماية من كل الجوانب في الابعاد المختلفة.

٥ - الصدق في إجراء المقررات وعدم الخيانة في الأمور ... وغيرها.

ذكر العلامة المجلسي في كتابه بحار الأنوار (ج ٢٧ من الصفحة ٢٤٢ إلى ٢٥٤) باب بعنوان «حق الامام على الرعية وحق الرعية على الامام» والذي يشمل ١٥ حديث، وهنا نذكر حديثين منها، أحدهما عن حقوق الامام والآخر عن الناس:

قال الرسولﷺ في آخر أيام عمره الشريف:

«أذكّر اللهُ الوالي من بعدي على أمّتي إلا:

أن يرحم على جماعة من المسلمين، فأجَلَّ كبيرهم، ورحِمَ ضعيفهم، ووقَّر عالمهم، ولم يضرّ بهم فيذلّهم، ولم يفقرهم فيكفرهم، ولم يغلق بابه دونهم، فيأكل قويّهم ضعيفهم، ولم يجمّرهم (أي: لم يحبسوا) في بعوثهم، فيقطع نسل أمّتي.»(١٠٩)

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«لا تختانوا وُلاتكم ولا تغشّوا هُداتكم، ولا تجهّلوا أئمتكم، ولا تصدّعوا عن حبلكم فتفشلوا وتذهب ريحكم، وعلى هذا فليكن تأسيس أموركم، وألزموا هذه الطّريقة، فإنّكم لو عاينتم ما عاين من قد مات منكم ممن خالف ما قد تدعون إليه لبدرتم وخرجتم ولسمعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريباً ما يطرح الحجاب».(١١٠)

الأصل الرابع

الحقوق المتقابلة بين الوالدين والأبناء

ملاحظة

إن من أحد الحقوق الاخلاقية المهمة كثيراً والذي أعطاه القرآن والرسول ﷺ والائمة عليهم السلام أهمية بالغة وشأن عظيم وهي حق الاحسان والاحترام وبرّ الوالدين كتأدية لحقوقهم، لتوضيح هذا المطلب العالي الشأن من اللازم أن ندرسه من وجهات نظر مختلفة.

الف : المعنى الواسع للاحسان إلى الوالدين

للاحترام والاحسان للوالدين معنى واسع ومفصل، وبصورة كلية أن نوع من قلة الاحترام لهما وكل شيء باعث لحزنهما وعدم فرحهما وابتهاجهما يجب أن يُبعد عنهم، ويجب مراعاة الأدب والآداب كاملاً أمامهما وبتعبير القرآن: ﴿ولاتقل لهما أفٍ﴾

يعني ابتعد عن أصغر كلمة وحركة توجب لألمهما، كلمة «أف» من أخف وأصغر تعبير الغير المؤدب والتي تستخدم لإبراز الألم والهم.

قال الامام الصادق عليه السلام: «لو علم الله شيئا هو أدنى من أف لنهى عنه، وهو من أدنى العقوق، ومن العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه، فيُحِدَّ النظر إليهما».[١١١]

من مفهوم هذه الرواية والتي تبين المعنى الواسع لعدم الاحترام للوالدين، نفهم أن الاحسان وبرّ الوالدين أيضاً إلى أي درجة واسعة.

سأل شخص الرسول ﷺ: ما هو حق الوالد على ولده؟

قال الرسول ﷺ:

«لا يسميه باسمه، ولا يمشي بين يديه، ولا يجلس قبله، ولا يستسِبُّ له».[١١٢]

رعاية الوالدين بعد الموت والوالدين الغير مسلمين

إن حق الوالدين مهم جداً في الاسلام لدرجة انه يشملهما بعد الموت ويشمل الغير المسلمين، ولتوضيح هذا المطلب نلتفت إلى هاتين الروايتين:

قال الامام الصادقعليه السلام:

«ما يمنع الرجل منكم أن يبرّ والديه حيين وميتين، ويصلي عنهما، ويتصدّق عنهما ويحجّ عنهما ويصوم عنهما ...»[١١٣]

وأيضاً قال:

«أحياناً يبر الرجل والديه في حياتهما، ولكن بعد موتهما، لا يسدّد ديونهما ولا يستغفر لهما، فهو عند الله عاق الوالدين، وبالعكس عندما يكون عاق بهما في حياتهما، ولكن بعد موتهما يقضي ديونهما ويستغفر لهما، ومثل هذا الشخص يكتبه الله بارّ الوالدين.»[١١٤]

روى أحد المسيحيين من أهالي الكوفة ويسمى «زكريا بن ابراهيم»:

«آمنت بدين الاسلام وأسلمت، وسافرت على مكة لأداء مراسم الحج، وهناك ذهبت إلى الامام الصادقعليه السلام (لحل مسألة) وقلت: لقد كنت مسيحياً والآن أصبحت مسلماً».

قال الامامعليه السلام: ماذا رايت في الاسلام حتى أسلمت؟

زكريا: قرأت هذه الآية (٥٢ – الشورى) في القرآن أن الله سبحانه وتعالى قال للرسولصلى الله عليه وآله وسلم: **﴿ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَ لاَ الْإِيمانُ وَ لكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا﴾**[١١٥]

الامامعليه السلام: إن الله هداك، ثم قال ٣ مرات: يا رب اهديه.

ثم قال لزكريا: ولدي، اسأل ماذا تريد؟

زكريا: إن والديّ وعالتي مسيحيين، ووالدتي أعمى، هل أكون معهم (حيث أنني مسلم) وآكل معهم في صحن واحد؟

الامامعليه السلام: هل يأكلان لحم الخنزير؟

زكريا: لا، إنهم لا يلمسونه.

الامامعليه السلام: لا يوجد مانع، كن مع والدتك وعاملها باحسان، وعندما تموت لا تكلها لغيرك وأنما تعهد أنت بكفن ودفنها ولا تخبر أحد أنك جئت إليّ، حتى إذا شاء الله تجيء إليّ في أرض مني.

قال زكريا: في أرض مني ذهبت إلى الامام الصادقعليه السلام، رأيت الناس مجتمعة حوله بصورة حلقة حيث أنه كان معلّم الأطفال، يسأله هذا وذاك ويجيب عليهم، عندما رجعت إلى الكوفة، عاملت والدتي باحترام واحسان، وكنت أطعمها وأغسل لباسها ورأسها، وكنت أخدمها، فقال لي والدتي:

يـا ولـدي، عندما كنت في ديننا لم تكن تخدمني هكذا وتمنحني كل هذه المحبة والآن ما هذه المعاملة التي تعاملني بها معي منذ ما آمنت بدين الاسلام؟

قلت: رجلٌ من أبناء الانبياء أمرني بالاحسان إليك.

قالـت والدتي: بل هـذا الرجل نبيّ حيث أن الانبياء هم الذين يأمرون بمثل هذا الامر (الاحسـان للوالدة).

قلت: يا والدتي، لن يأتي من بعد رسولنا رسولٌ آخر، بل هو ابن رسول الله.

قالت والدتي: إن دينك من أحسن الاديان، أعرضه عليّ.

فعرضـت دين الاسـلام عليها، وأسـلمت وعلّمتها أصول الاسـلام والأحـكام الأولية، وصلّت صـلاة الظهـر والعصر والمغرب والعشـاء، ثم مرضت مسـاءاً وقالـت لي: يا بني، علّمنـي مرة أخرى بالـذي علّمتنـي مـن قبل. فكـررت لها وأقـرّت بذلك ورحلـت من هـذه الدنيا، وفي الصبـاح جاءوا المسلمين وغسّلوا جنازتها وصليّت على جنازتها وأنزلتها بالتراب.[١١٦]

ب - الاحترام لحقوق الوالدين في نظر القرآن

جاء في القرآن ذكر الاحترام والاحسان إلى الوالدين في ثلاثة عشر موضع.[١١٧]

ويأمر في سنة مواضع بكلمة «احسان» و «حُسن» بالاحسان إلى الوالدين.

وهنا وعلى سبيل المثال نذكر أحدهما نقرأ في الآية (٢٣ و ٢٤) من سورة الإسراء التالي:

﴿وَ قَضـى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْسـاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْـدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَـلا تَقُـلْ لَهُما أُفٍّ وَ لا تَنْهَرْهُما وَ قُـلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً * وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً﴾

بالبحـث في الثلاثـة عشرة آية من الآيات المذكورة تحصل على سـتة تعابـير في أمر الناس بالاحترام والاحسان إلى الوالدين وبرّهما وهـم:

١ – أمر الله بالاحسان للوالدين (الإسراء–٢٣)

٢ – وصىّ الله الانسان بالوالدين حُسناً (العنكبوت–٨، الاحقاف–١٥)

٣ – اشكروا لله وللوالدين (لقمان–١٤، النمل–١٩، الاحقاف–١٥)

٤ – ادعوا للوالدين (الاسراء–٢٤ ، ابراهيم–٤١، نوح–٢٨)

٥ – ووصّوا بالاحسان إلى الوالدين (البقرة–١٨٠)

٦ – الانفاق على الوالدين (البقرة–٢١٩)

ومـن الطريف أن القرآن في سـبعة مواضع بعد الدعوة إلى الوحدانية والشـكر لله يدعو مباشرة إلى الاحسـان وشـكر الوالدين مثل الية (٨٣) من سـورة البقرة، (٣٦) الانسـان، (١٥١) النعام، (٢٣) الاسراء، (١٩) النمل، (١٥) الاحقاف، (١٣ و١٤) لقمان.

ويبين هذا المطلب مدى أهمية وشـأن وقدر الاحترام والاحسـان إلى الوالدين حيث يُطرح مباشرة بعد الاعتقاد بوحدانية الله سبحانه.

استثناء في موضع واحد ومحترم

استثنى القرآن إطاعة الوالدين في موضع واحد، ليس بالخشونة والقسوة بل بكمال المتانة واللطافة، وذلك حينما تكون إطاعتهما موجبة للشرك بالله، والعصيان بالله مثلما نقرأ في الآية رقم (١٥) من سورة لقمان:

﴿وَ إِنْ جاهَـداكَ عَلـى أَنْ تُشْـرِكَ بِـي مـا لَيْـسَ لَكَ بِـهِ عِلْـمٌ فَـلا تُطِعْهُمـا وَ صاحِبْهُما فِـي الدُّنْيا مَعْرُوفاً﴾

تقـول الآيـة أنه في موضع الشرك لا تطيع الوالدين ثم تذكّر بأن الكفر والشرك ليس دليل على قطع الرابطة نهائيا مع الوالدين، بل في نفس الوقت يجب أن تتعامل معهم بطريقة لائقة ومؤدبة.

دراسة في معرفة الحق والمحبة

وفي مسـألة تأكيد القرآن لاحـترام الوالدين، فقد تم التذكير بموضوعـين مهمين ولهما دور كبير في التربية وهما:

الأول: أن الانسـان يجب أن تكون لديه خصلة معرفة الحق، حتى هذه الخصلة المفيدة وذي المنافع المادية والمعنوية الكثيرة تستقر في المجتمع.

الثـاني: وهـو أن المحبة للوالدين والذين هما من أفـراد العائلة موجبة لـدفء العائلة ولها دور مهم ومفيد في تربية ورشد الأبناء.

وقـد ذكـر القـرآن هذين المطلبـين حيث ورد قولـه تعالى في معرفـة الحق في الآية (١٤) من سـورة لقمان:

﴿وَ وَصَّيْنَـا الْإِنْسـانَ بِوالِدَيْـهِ حَمَلَتْـهُ أُمُّـهُ وَهْنـاً عَلـى وَهْـنٍ وَ فِصالُـهُ فِي عامَيْـنِ أَنِ اشْـكُرْ لِي وَ لِوالِدَيْكَ﴾

بمعنـى أن الوالـدة التي ذاقت ألم الحمل ورضاعـة الابن، يجب أن نعرف حقهـا ولاحترام زحماتها

وتعبها يجب الاحترام والاحسان إليها. وبخصوص محبتهم قال الله تبارك وتعالى هكذا ادعوا لهم:
﴿رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً﴾ (الاسراء-٢٤)

ج : مراعاة حقوق الوالدين في أحاديث وسلوك الأئمة عليهم السلام

في أحاديث وسلوك الأئمة عليهم السلام وردت تعبيرات مختلفة وتأكيدات كثيرة متعددة في الاحترام والاحسان إلى الوالدين وبرّهما ونحن هنا بعنوان المثال من بين العشرات بل مئات الروايات بهذا الخصوص، نلفت انتباهكم إلى مقتطفات ومنها:

١ - قال الرسول صلى الله عليه وآله: «عالم الرؤيا رأت عزرائيل قد جاء إلى أحد لأفراد أمتي لأخذ روحه وفي تلك اللحظة جاء إحسانه لوالديه وأرجعه عن قبض روحه.»[١١٨]

٢ - روى عن أحد طلاب الامام الصادق عليه السلام، قلت للامام الصادق عليه السلام: «ما أفضل عمل؟»
فقال: «الصلاةُ لوقتها، وبرّ الوالدين والجهاد في سبيل الله»[١١٩]

٣ - وقوله صلى الله عليه وآله: رأي موسى عليه السلام في مناجاته مع الله قال الله سبحانه وتعالى: «هذا كان برّاً بوالديه ولم يمش بالنميمة»[١٢٠]

٤ - جاء شخص إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «إننى جاهز بكل همة ونشاط للجهاد»
قال الرسول صلى الله عليه وآله: «وعلى هذا فاذهب إلى ميدان الجهاد وحارب الاعداء في سبيل الله، حتى إذا قُتلت في ذلك السبيل فإنك حيّ عند الله وترزق، وإذا متّ بأثر مرض، فجزاؤك على الله سبحانه وتعالى، وإذا رجعت من الجبهة إلى البيت، تُطهر من ذنوبك وتغفر لك كما اليوم الذي وُلدت فيه.»
فقال: «يا رسول الله ! إن لي والدين كبيرين في السن وأعتقد أنهم أنسوا بي، ولا يستحسنون ذهابي إلى الجهاد.»
قال الرسول صلى الله عليه وآله:
«فقرَّ مع والديك فوالذي نفسي بيده لأُنسُهما بك يوماً وليلةً خيرٌ من جهاد سنةٍ».[١٢١]
وري عمّار بن حيّان: قلت للامام الصادق عليه السلام: «إن ابني اسماعيل يحسن إليّ»
قال: «كنت أحب ولدك اسماعيل ولكن الآن أحبه أكثر (لاحسانه اليك)»
فقال: جاءت أخت الرسول صلى الله عليه وآله بالرضاعة إلى الرسول صلى الله عليه وآله، عندما رآها الرسول صلى الله عليه وآله فرح وفرش لها رداءه على الأرض وأجلسها عليها ثم التفت إليها وتحّث معها بكل حرارة ولطف وابتسام، حتى قامت وذهبت، ثم جاء أخيه بالرضاعة وسأله أيضاً عن أحواله بكل حرارة، ولكن تعامله لم يكن مثل تعامله مع أخته.

سـأل شـخص عن سـبب وسر هذا الاختلاف في المعاملة، فرد عليه الرسـولﷺ: «لأنها كانت أبرّ بوالديها منه»[١٢٢]

٥ – جاء شخص إلى رسول اللهﷺ وسأله: «يا رسول الله ! لقد أقسمت بأن اقبّل عتبة الجنة وجبهة حور العين فماذا أفعل؟»

فقـال رسـول اللهﷺ «قبّـل رجلي أمـك، وجبهة أبيـك (يعني أنـه إذا فعلت ذلك سـوف تصل إلى أمنيتك ومرامك والتي هي تقبيل جبهة حور العين وعتبة الجنة).»

فسأل: «وإذا الوالدين ميتين، فماذا أفعل؟»

فقال رسول اللهﷺ: «قبّل قبرهما».[١٢٣]

ـــــ

عندما جاء ابراهيم الخليلعليه السلام لرؤية اسـماعيل من الشـام إلى مكة، لم يكن ولده في البيت، فرجععليه السلام إلى الشام، وعندما عاد اسماعيل من السفر، أخبرته زوجته بمجيء ابراهيمعليه السلام فوجد اسماعيل أثر قدم أبيه ابراهيمعليه السلام فقبّل أثر قدمه كاحترام له.[١٢٤]

٦ – قال الامام الباقرعليه السلام: رأي والدي الامام السجادعليه السلام رجلاً يمشي مع ولده والولد متكيء على يد والده، فغضب الامام السـجادعليه السلام من عمله الغير اللائق، لذلك لم يتكلم مع ذاك الولد حتى رحل من الدنيا.[١٢٥]

قـال ابراهيـم بن مهزم: كنت عند الامام الصادقعليه السلام، رجعت مسـاءا إلى البيـت، وصار بيني وبين والدتي جدال، وأغلظت معها، وفي ثاني يوم ذهبت إلى الامام الصادقعليه السلام بعد صلاة الصبح، وقبل أن أتكلم قال لي الامام: «يا مِهزَم مالك والخالدة؟! أغلظت في كلامها البارحة، أما علمت أنّ بطنها منزل قد سكنته، وحِجرها مهدٌ قد غمرته، وثديها وعاءٌ قد شربته».[١٢٦]

ـــــ

في القسـم الثاني من رسالة الحقوق للامام السـجّادعليه السلام، ذكر عن حقوق الوالدين ولن نكرر ذلك، وإنـما نسـتطيع أن نقـول مـع التوجه للمطالب السـابقة ليس هناك حق على الانسـان مـن بعد حق الله والمعصومـين الاربعة عشرعليهم السلام مثل حق الوالدين، ولذلك يجب السـعي تماما لمراعاة حقهما، والامتناع عن كل العوامل والامور التي توجب صدمة بحقهما، وخاصةً على الام، حيث قال الامام الكاظمعليه السلام: «إن الرجل اذا كان في الصلاة (المستحبة)، فدعاه الوالد فليسبّح، فاذا دعته الوالدة فليقل لبّيك»[١٢٧]

وبجوابه الحسن والممتاز لا يجعل الوالدة تنتظر.

هذه الرواية تبين قمة حقوق الوالدة في الاسلام، ومراعاتها في كل شيء باحسن وجه.

حقوق الابناء على الوالدين

من أحد الحقوق الاسلامية المهمة هي حقوق الأولاد على الوالدين لاحترام الابناء ومحبتهم، حتماً يجب مراعاتها مثل:

١ - حسن التسمية.

٢ - التربية السليمة والصحيحة بمراقبة دقيقة ومساعدات عاقلة ومطلوبة.

٣ - توفير وسائل الرشد والترقي لهم.

٤ - رعاية العدالة بينهم.

٥ - مساعدتهم للزواج عند البلوغ.

يعتبر الولد الصالح من أحد النعم الالهية الكبيرة وطبعاً للمعاملة الحسنة والمعقولة من الوالدين دور وأثر كبير في إصلاح الولد.

الولد الصالح في نظر القرآن

في البحث ودراسة الآيات القرآنية نجد أن الانسان اللائق والجدير يطلب أولاد صالحة، والانبياء مثل زكريا وصالح طلبوا من الله في دعائهم أن يكون أولادهم ونسلهم أفراد لائقة وجديرة، وطبعاً سوف يسعون لتحقيق هذا الطلب ويسلّموا أولاد صالحة للمجتمع حيث أنهم يعتبرون أنفسهم مسئولين عن هذا الحق، حق الأولاد.

في الآية (١٥) من سورة الاحقاف، يقول الله سبحانه وتعالى في أوصاف الانسان الصالح، أنّ من أحد أوصافه أنّه يقول في دعائه لرب العالمين: ﴿وَ أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾

وفي سورة الفرقان يبين الله سبحانه وتعالى أن من أحد أوصاف «عبادُ الرحمن» أنه يدعو ربه ويقول:

﴿ هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[١٢٨]

ودعا ابراهيم عليه السلام بعد بناء الكعبة من ضمن أدعيته:

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾[١٢٩]

﴿رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾[١٣٠]

ودعا زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[١٣١]

نستفيد من تلك الآيات أن كيفية الولد مهمة في مذهب الانبياء وليست كمية الولد، ومن هذا المنطلق إنّه يذكر احيانا في القرن الولد بعنوان الصديق والصاحب (الاسراء-٦) وأحيانا كعدو (التغابن-١٤) وأحياناً كوسيلة للغفلة وعدم النجاة (المنافقون-٩ ، سبأ-٣٧).

بعض الحقوق المهمة للأبناء على الوالدين

من بين الحقوق التي على الوالدين تجاه الأولاد ويجب عليهما أدائها بصورة حسنة ومع الاحساس بالمسئولية هي ثلاثة وهم:

١ - التسمية الحسنة.

٢ - التربية.

٣ - تعليم القرآن.

مثلما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«حقّ الولد على الوالد ن يُحسِنَ أسمه، ويُحسن أدبه، ويُعلمه القرآن»[١٣٢]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم»[١٣٣]

وأيضاً قال: «حق الولد على والده أن يعلّمه الكتاب، والسّباحة والرّماية وأن لا يرزقه إلا طيّباً»[١٣٤]

حقوق الأولاد من لسان الامام السجّاد عليه السلام

قال الامام السجاد عليه السلام في رسالة حقوق البشر، بالنسبة لحقوق الأولاد:

«وأما حق ولدك، فتعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدّنيا بخيره وشرّه، وأنك مسؤول عمّا ليته من حُسن الادب والدلالة على ربّه، والمعونه له على طاعته فيك وفي نفسه»[١٣٥]

هذه الامور والتي هي بحدود عشرة حقوق للولد، كل واحد منها أساس لسعادة الولد وموجبة لرشده وترقيه.

المراقبة الدقيقة للأئمة عليهم السلام في تربية الأولاد

كانوا الائمة عليهم السلام بعد رعاية أصول التربية في مراقبة دقيقة ودائمة لأولادهم، وسعوا كثيرا لتربيتهم وجعلهم متدينين، متعهدين وانقلابيين، ولم يكونوا غير مبالين لتحصيل هذه الآثار بل كانوا يهتمون كثيراً بها.

في المرتبة الأولى: كانوا أصدقاء ورفقاء لهم، ويتعاملون معهم بكل محبة، مصاحبين معهم ويساعدونهم في الصعاب.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رحِمَ الله عبداً أعان ولده على برّه بالاحسان إليه والتألُّف له وتعليمه وتأديبه»[١٣٦]

جاء رجل إلى الرسول ﷺ وقال: «ما قبّلتُ صبيّاً»

عندما ذهب قال رسول الله ﷺ: «هذا رجلٌ عندي من أهل النار»[١٣٧]

في المرتبة الثانية: لم يحقّروا أبداً أولادهم في سيرهم في تربية الأولاد، بل اهتموا بشخصيتهم ولم يضربوا ويذلّوا غريزة البحث عن الرشد فيهم، ويبتعدون عن كل عمل يستهين بهم ويحسّسهم بالحقارة، حيث كانوا يعلمون أن الشخص الذي يُستهان بشخصيته سيتجه إلى الانحراف وارتكاب الذنوب، ومن الناحية الأخرى، الشخص الذي يحس بكرامة شخصيته لا يعدمها بالذنوب مثلما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«من كرُمَت عليه نفسه لم يُهِنها بالمعصية»[١٣٨]

في المرتبة الثالثة: دائماً ينصحون أولادهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، وفي هذا المجال كان عندهم اصرار شديد بذلك، وكانوا في كل فرصة مناسبة ينمّون أذهانهم الصافية بالحكمة والمطالب البنّاءة والعميقة.

إن الائمة عليهم السلام كانا في تعاملهم معهم مثل لقمان الحكيم الذي لقّن ولده العزيز بالحكم العميقة، وبتكرار التعبير اللطيف «يا بُني» وبكل محبة ينصح ولده.[١٣٩]

ودائماً بنداء «يا بُني يا بُني» لجذب عواطفه يمطره بنصائحه على الصفحة الجاهزة لقب ولده.

مثلما قال الامام عليّ عليه السلام في رسالة للامام حسن عليه السلام عشر مرات «يا بُني».[١٤٠]

ويقول في عبارة منها:

«فبادرتك بالادب قبل أن يقسوا قلبك ويشتغل لُبُّك»[١٤١]

وأعطى الامام الحسين عليه السلام لمعلم ولده ويُسمى «عبدالرحمن سلمى» والذي علّم ولده سورة الحمد وبعض من العلم وربّاه قليلاً، ألف دينار وملأ فمه بالجوهر.

قال شخص له: «أعطيته كل هذه الجوائز!»

فردّ الامام الحسين عليه السلام وقال: «وأين يقع هذه من عطائه»[١٤٢]

النتيجة: التبليغات والنصائح المنطقية والحسنة، قطعاً لها أثر في التربية ومن الأركان الأصلية لها، والائمة عليهم السلام استفادوا منها في تطهير وتربية أولادهم.[١٤٣]

وأيضاً كانوا يقدّمون لهم طعام طاهر، ويدقّقون عند اتخاذ صديق ورفيق لهم، ويحذرونهم من الدخول في محيط فاسد، وبصورة عامة يوفّرون لهم كل العوامل التي هي من مقتضيات تربية وتكامل الأولاد ويصدّون عن أي عامل من عوامل ضد التكامل.

وعلى هذا الأساس، فإن أولاد الأئمة عليهم السلام ٩٩ بالمئة منهم أناس لائقة وجديرة، عاملة، عالمة،

مبارزة، انقلابية، حرة، شجاعة، سخيّة وخسنة الاخلاق وفي الحياة خلف صالح، طبعاً استثناءاً كانت من بينهم أفراد غير لائقة حيث سنتطرق إلى أسباب وبواعث انحرافهم في البحث التالي.

سبب انحراف بعض أولاد الأئمةعليهم السلام

وهنا يطرح هذا السؤال: لماذا بالرغم من اهتمام الأئمة لتربية أولادهم بكل دقة ومراعاتهم لكل ركن وأصل من أركان واصول التعليم والتربية، بعض أولادهم وأحفادهم (في حدود ١ بالمئة منهم) منحرفين وضالّين؟

للرد على هذا السؤال

يجب في البداية التوجه إلى سيدنا نوحعليه السلام كان من أحد الأنبياء وأولوا العزم، وبالتأكيد كان دقيق في تربية أولاده، ولكن كان ولده «كنعان» فرد ضائع وضال وأيضاً رأى العذاب الإلهي، وفي نفس الحال لم يقبل بنبوة نوحعليه السلام.[١٤٤]

وأيضاً سيدنا يعقوبعليه السلام كان من أحد الأنبياء الكبار لكن صمموا أولاده لقتل أخيهم يوسفعليه السلام، وقالوا أن أباهم من الضّالين و ... .[١٤٥]

ولذلك فإن مثل هذا الموضوع كان أيضاً عند أولاد النبياء.

وأمّا أسباب انحراف أولاد الأئمةعليهم السلام هي مث أسباب انحراف أولاد الأنبياء، ونستطيع أن نلخصها في خمسة مواضيع وهي كالتالي:

١ - والدة غير لائقة وليست حسنة.

٢ - الحسد.

٣ - حب الجاه والمقام.

٤ - حب المال.

٥ - رفقاء السوء.

توضيح

١ - دور الأم: أحياناً يكون الأب صالحاً من كل جهة، ولكن تكون الأم غير لائقة وغير جديرة حتى تربي الأبناء على أسس سليمة وصحيحة، مثلاً يكون الأب مراقب جداً على نوعية الطعام، ولكن تكون الأم غير مبالية وليست لديها تلك المراقبة، ويكون الأب على مستوى عالٍ من الناحية العلمية

والمعنوية ويستطيع أن يصل إلى حالات عرفانية ممتازة ولكن الأم لا تملك هذه الحالات، بل أحياناً بالعكس تملك أسباب الانحراف والسقوط، وبلا شك، وعلى أساس قانون الوراثة، فإن حالات الوالدين تنتقل إلى الولد.

وفي مستوى المقتضيات وليس العدل فهما الاثنين لهما دور فطري في تكوين ولدهما.

ولى هذا الأساس الائمة عليهم السلام سعوا للزواج من الأمرأة الصالحة وشجاعة والحرة ولكن أحياناً نساء غير صالحات تصبح زوجة لهم مثل زوجة نوح ولوط وجُعده بنت أشعث التي اصبحت زوجة للامام الحسن المجتبى عليه السلام، وهي التي سمّمت الامام.

في واقعة الجمل، قال الامام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لولده «محمد الحنفية»: «اهجم»، فأبطأ ليتّقي سهام القوم ونبالهم التي اتجهت نحوه كالعواصف من كل جانب، وانتظر محمد حتى تتوقف سهام العدو ثم يهجم، وأخيراً هاجم، ولكنه توقف مرة أخرى في مقابل السهام والنبال.

جاء الامام عليّ عليه السلام اليه فضربه بقائم سيفه وقال: «أدركك عرقٌ من أمّك»[١٤٦]

٢ - الحسد: أحد الخصال القبيحة جداً والذي يضيّع الانسان ويجعله بلا رحمة، أخوة يوسف كانوا أبناء نبي، رأووا أن أباهم يعقوب يحب يوسف أكثر منهم (بسبب الاستعدادات التي كان يراها في وجهه)، غلب عليهم الحسد حتى صمموا على قتل يوسف، وفي النهاية رموه في الجب.

وفي رواية الامام السجاد عليه السلام من لسان الرسول صلى الله عليه وآله جاءت هذه الجملة بخصوص جعفر الكذاب: «والحاسد لأخيه»[١٤٧]

وقال الأمام الصادق عليه السلام بصورة كلية: «ليس منا إلا وله عدو من أهل بيته»

سأل شخص: «بنو الحسن لا يعرفون لمن الحق»

فقال الامام الصادق عليه السلام في الجواب: «بلى، ولكن يمنعهم الحسد».[١٤٨]

نعم إن الحسد يحرّف الانسان في دائرة نفسه، ويجعل حتى الامام المعصوم عليه السلام لارتكاب الذنب والادعاء ادعاءاً باطلاً.

ومن هذا المنطلق حذّر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في أحد أقواله وقال: «الحسد رأس العيوب»[١٤٩]

٣ - طلب الرياسة والمقام: من أحد عوامل الانحراف هي حب المقام والذي يجر الانسان إلى الضلالة والانحراف، وبسبب هذه الخصلة القبيحة انحرفوا أولاد الأئمة.

كان يعلم عبدالله أفطح ابن الامام الصادق عليه السلام أن والده قال:

«الامام من بعدي هو موسى بن جعفر» ولكن حب الجاه فيه أدى إلى قوله: «أنني الابن الأكبر، لماذا لا أكون ولي العهد من بعده؟»

لقد ادّعى ذلك ولكن قصر عمره وارتحل من هذه الدنيا بعد ٧٠ يوماً من وفاة الأب.

وأيضاً جعفر الكذّاب ادّعى (بسبب حب المقام والرياسة) أنه ولي عهد أخيه الامام الحسن العسكريعليه السلام، وأنكر الامام المهدي (عج)، ولكنه أيضاً قصر عمره وفي سن ٤٥ سنة في سنة ٢٧١ هجرية، بكل صحة وسلامة توفي.[١٥٠]

هذه النماذج التاريخية سبب لأخذ العبرة ومن يخالف المرشد أو يقطع الرحم سيقصر عمره.

٤ – حب المال: نشاهد في التاريخ الكثير من الأفراد بسبب حب المال اتجهوا إلى جنايات مخيفة ومرعبة إلى حد أنهم للحصول على الجائزة كانوا يتسابقون لقطع رأس الحسينعليه السلام.

من أحد أسباب انحراف بعض اولاد الأئمةعليهم السلام هي حب المال، مع أن الأئمة كانوا يساعدونهم كثيراً من الناحية المالية، ولكن طلب المزيد من المال أدّى إلى تحريض العدو لقتل الأمام المعصومعليه السلام.

مثل محمد بن اسماعيل بن الامام الصادقعليه السلام الذي ذهب إلى بغداد وقال لهارون: «لم أكن أتوقع أن يكون على الأرض خليفتين، حتى رأيت الناس يسلّمون على عمى موسي بن جعفرعليه السلام كخليفة».

وبسبب أفترائه وغيبته، حرّض هارون على الامام الكاظمعليه السلام، بعث هارون ١٠٠ ألف درهم له ولكنه ابتلى بسرعة بمرض «ذبحة» (يشبه الديفتري، ألم شديد في البلعوم) حتى أنه لم يستطع صرف درهم واحد منه، ولكل مذلّة توفي.[١٥١]

وأيضاً سقط أخوه على بن اسماعيل في الضياع، كان يعلم الامام الكاظمعليه السلام أنه يحب المال، فبعث إليه ٣٠٠ دينار و ٤٠٠٠ درهم بواسطة أخيه محمد بن جعفرعليه السلام وأرسل له هذه الرسالة:

«اجعل هذا في جهازك ولا تُؤتِم ولدي»

ولكنه غدر به وخانه وذهب إلى هارون وحرّض هارون ضد عمه للحصول على الأموال وبأمر من هارون أعطوه جائزة بمقدار ٢٠٠،٠٠٠ درهم، ولكنه لم يدوم طويلا حتى ابتلا بمرض خاص والدفع أمعاؤه إلى الخارج في بيت الخلاء، وسقط في مكانه، فاحضروا له أمواله، قال:

«ما أصنع به وأنا في الموت»[١٥٢]

٥ – جليس السوء: أحياناً كل وسائل التربية والأمور التي لها دور في بناء الانسان متوفرة في حياة الانسان ولكن جليس السوء يوجب الانحراف، انحراف بعض أولاد الأئمةعليهم السلام كان بسبب جليس السوء ورفقاء السوء.

نقرأ في القرآن الآية ٢٨ و ٢٩ من سورة الفرقان: ضلّ شخص نتيجة الجلوس مع رفقاء السوء وفي يوم القيامة يندم ويقول: ﴿يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي وَ كانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولاً﴾

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«إياك ومعاشرة الأشرار فإنهم كالنار، مباشرتها تحرق»[١٥٣]

عبـدالله أفطَـح ابن الامـام الصادق عليه السلام والذي ذُكر مـن قبل، كان الولد الأكـبر للامام الصادق عليه السلام ولكنـه بعـد الامام الصادق عليه السلام تقـدم في مقابل الامـام الكاظـم عليه السلام وادّعى الامامـة، ... وقصر عمره ومات، ويكتبون عن حالاته بأنه كان يجلس مع «الحشـويّه والمرجِئه» من اتباع مذهبين منحرفين وبعد جلوسه معهم جعلوه ينحرف وأفسدوا عقيدته.[١٥٤]

الاصل الخامس

العلم والامانة والتعهد
ثلاثة حقوق وثلاثة أسناد للحقوق

ملاحظة

إن من حقوق المسلم سواء كان رجل أو امرأة، أسود أو أبيض، من أي طبقة وعنصر كان هي ثلاثة حقوق مهمة وهم:

١ - حق العلم والرشد العلمي.

٢ - حق صاحب الامانة على المؤتمن.

٣ - حق حفظ العهد حيث يجب على المعاهد رعايته بصورة دقيقة وجدّية.

بالإضافة إلى ذلك أن تلك الحقوق الثلاثة هي أناد قوية وعميقة لحفظ حقوق الآخرين، حيث أذا لم تكن هذه الحقوق الثلاثة في المجتمع فستضيع حقوق كثيرة وسيظهر جهنم من عدم الاعتماد، عدم الامان، قطع الروابط والعلاقات، والهرج والمرج المخرّب.

قيمة العلم في الاسلام

الاسلام الذي هو دين عالمي وخالد ويرى كل شيء بمنظار حاد وعميق وواقعي، وضع هذه الحقوق الثلاثة في موضع خاص واهتم بها كثيراً، وعندما تنظر إلى القرآن نجد أن الله سبحانه وتعالى يعرّف طالوت بالقائد والحاكم المناسب واللائق والجدير ويوصفه بولى صالح وماسب للنبي اشموئيل، ويبرر لبني اسرائيل مقابل اعتراضهم على طالوت أن سبب اختياره لطالوت ولياقته لمقام القائد والحاكم هو علمه وجسمه مثلما ورد في القرآن الأية رقم ٢٤٧ من سورة البقرة:

﴿قالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ﴾

لذلـك فإن العلـم يوجب اللياقة للقيـادة، ويخلق المبارزة ضد الظالمين لحفظ حقوق المستضعفين، وأيضاً نقرأ في قصة يوسفعليه السلام، نجـد في القرآن أنه عندما خرج من السـجن وأصبح ذو منصب عند ملك مصر، قال له الملك: أختر لنفسك أي مقام تشاء لأنصبك به، فقال يوسفعليه السلام:

﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾

رأى يوسـفعليه السلام أن الأمانـة وحفـظ حقـوق النـاس والعلـم دليـل للياقته للحصـول على منصب الحاكم. وبهذه الخصلتين بدأ بالعمل والسـعي على مسـتوٍ عالٍ وظهر تحول عميق وجذري ولائق علم واقتصاد مصر، ورويدا رويدا يصبح المرشـد والحاكم المطلق لمصر وأصبح محبوب بلا مثيل وبلا نظير بين مختلف الناس.

إن تعليم العلم حق من الحقوق المسلّمة لكل انسان، ولا يستطيع أحد أن يأخذ هذا الحق من غيره ويمنـع الترقي والرشـد العلمـي لغيره، وإذا كان أعلان حقوق البشر قبل عدة سـنوات، قد جعل هذا الحق كمادة من مواد تلك النشرة، فإن الاسـلام قد أنشـأ هذا الحق من قبل خمسـة عشر قرن بتعبير أعلى وأعمق، إلى حدّ أن الرسولصلى الله عليه وآله وسلم قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[١٥٥]

وقال الامام الصادقعليه السلام: «طلب العلم فريضة على كل حال.»[١٥٦]

يقول الاسلام أن السبب الذي أمر الله به الملائكة للسجود لآدمعليه السلام(اكراماً واجلالاً له وشكراً له) هو علم آدم للاسلام (والاستعدادات ومقتضيات الرشد والترقي) مثلما جاء في القرآن في سورة البقرة الآيـة رقم ٣٠ و٣١، وتـم توضيحه في الفصل الأول من هذا الكتاب ولمزيد من الإيضاح توجهوا لهذ الروايات التالي:

قال أمير المؤمنين عليّعليه السلام: « إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعيها.»[١٥٧]

قال الإمام الباقرعليه السلام: «عالمٌ ينتفع بعلمه، أفضل من عبادة سبعين ألف عابدٍ.»[١٥٨]

قـال رسـول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: «طلـب العلم أفضل عنـد الله من الصـلاة والصيام والحج والجهاد في سـبيل الله.»[١٥٩]

وأيضاً قال: «النظر إلى وجه العالم عبادةٌ.»[١٦٠]

النتيجـة: لقـد طرح اكتسـاب العلـم كأحد القيـم العاليـة والكبـيرة وللجمعي الحق في اكتسـاب وتحصيل العلم.

حق العلم وحق المعلم والطالب

الموضوع الآخر هو أن للعلم والمعلم والطالب حق على الأفراد، ويجب معرفة حقوقهم ورعايتها.

جاءت في الرواية: «أن رجلٌ جاء إلى الرسولﷺ وقال: ما حق العلم؟»

قال الرسولﷺ: الانصاتُ له

قال: ثم مَه

قالﷺ: الاستماع له

قال:: ثم مَه

قالﷺ: نشره.[١٦١]

قال الامام الصادقؑ: «تواضعوا لمن تعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم.»[١٦٢]

إن للمعلم مقام في الاسلام لدرجة أن الرسولﷺ قال:

«إن الله وملائكته، حتى النملة في جُحرها، وحتى الحوت في البحر يصلّون على معلم الناس الخير.»[١٦٣]

قال الامام الصادقؑ: «وحق سائِسِكَ بالعلم التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحُسنُ الاستماع اله، والاقبال عليه، وان لا ترفع عليه صوتك، ولا تجيب أحداً تسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يُجيب،ولا تُحدّث في مجلسه أحداً، ولا تغتابُ عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوءٍ، وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تُجالس له عدواً ولا تُعادي له عدواً.»[١٦٤]

وقال عن حق الطالب: «وأمّا حقّ رعيّتك بالعلم فأن تعلم أن الله عزّ وجل إنّما جعلك قيّماً لهم فيما آتاك الله من العلم، وفتح لك من خزائنه، فإن أحسنت في تعليم الناس، ولم تخرق بهم، ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله، وإن أنت منعت الناس علمك، وخرقت بهم عند طلبهم العلم، كان حقاً على الله عزّ وجل أن يسلبك العلم وبهاؤه، ويسقط من القلوب محلّك».[١٦٥]

النتيجة والخلاصة

حصلنا من مجموعة المطالب السابقة على أن:

١ - كل انسان حر في تحصيل العلم وله الحق بذلك.

٢ - ممانعة الأفراد لتحصيل العلم في نظر الاسلام ممنوعة وتضييع للحق.

٣ - العلم هو السند لحفظ الحقوق من الاتلاف والضياع وموجب للحفظ الصحيح والسلم والمعقول للقيم.

٤ - أن للمعلم حقوق على الطالب.

٥ - أن للطالب حقوق على المعلم.

وعلى هذا، فإن الاسلام دين العلم والرشد والترقي ومخالف لأي نوع من الجهل والركود والرجوع إلى الوراء والتأخر.

ويرى الاسلام بأن العلم والمعرفة مصباح منير للضائعين، حتى يصل بهم في صحراء الضّلاله المظلمة إلى الصراط المستقيم ومن بين أمواج الضياع الطوفاني إلى ساحل النجاة.

دراسة في الحق الثاني وهي الأمانة

ملاحظة

إن مـن أحـد الحقـوق والأركان الاخلاقيـة في الاسـلام هـي خصلة الأمانـة، حيث أهتـم القرآن والرسول ﷺ وأئمة الشيعة عليهم السلام كثيراً وبصورة فائقة بهذه الخصلة، وكانوا يأمرون بها بتعبيرات وتأكيدا كثيرة ومختلفة، وحتى لدرس هذه الخصلة جذرياً وبصورة أشمل وأعم، من اللازم أن نجزّئها وتحللها إلى ثلاثة أمور وهي:

١ - معنى ومفهوم الامانة.

٢ - الامانة في نظر القرآن والأئمة عليهم السلام.

٣ - حفظ الاعتماد والاطمئنان في المجتمع، الفلسفة الكبرى للأمانة في نطاق واسع.

١ - المعنى الواسع للامانة

إن الأمانة في علم الاسـلام لها معنى واسـع وشاسـع، ولا ينحصر بالمال واللبـاس والأثاث، وإنما مثـلاً في القرآن نجد الأمانة الإلهية، الرسـل والانبيـاء والأئمة عليهم السلام هـم الامـانة الالهية، المقـام أمـانة، وضـع بيـت المال في اختيـار العـاملين أمانة، الطـلاب وأوراق امتحـاناتهـم أمـانة عند المعـلم، و... غـيرها.

مثلـما نـرى بوضـوح هـذا المعنـى الواسـع للمانـه[١٦٦] في الآيـات القرآنيـة وأحاديث الرسـول ﷺ والأئمة عليهم السلام، وعلى سبيل المثال، نقرأ في الآية ٢٧ من سورة الانفال: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

جاءت الأمانة في هذه الآية، على أساس شأن نزولها والتي نزلت بخصوص «أبو لُبابة»[١٦٧] بمعنى

كشف السر النظامي عند الأعداء حيث أفشى ابو لبابة السر الخاص بإعدام يهود بني قريضة عند اليهود.[١٦٨]

ـــــ

جاءت الأمانة في نهج البلاغة وفي مواضع كثيرة غالباً بمعنى المقامات السياسية مثلا جاء في الكتاب (٤٠) من نهج البلاغة أن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كتب إلى أحد حكامه:

«فقد بلغني عنك أمرٌ إن كنت فعلته فقد أسخطت ربّك وعصيت إمامك، وأخزيت امانتك»

في هذا الحديث جاءت الامانه بمعنى مقام ومسئولية الحاكم.

وفي الكتاب (٤٢) من نهج البلاغة يكتب أمير المؤمنين إلى حاكمه في البحرين يقال له «عمر بن أبي سلمة»: «فلقد أحسنت الولاية وأدّيت الأمانة»

وفي الكتاب (٤١) يكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أحد حكامه التالي: «فإنيّ كنت قد أشركتك في أمانتي»

وفي وصف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أمين وحيَه»[١٦٩]

وبخصوص الملائكة يقول: «أهل الأمانة على وحيه»[١٧٠]

ـــــ

وفي اقوال الأئمة عليهم السلام أيضاً استعملوا الأمانة بمعنى اسع من جملتها:

روي أن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عندما جاء وقت الصلاة قال:

«جاء وقت الصلاة، وقت أمانةٍ عرضه الله ...»[١٧١]

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «المَجالسُ بالامانةِ وإفشاء سرّ أخيك خيانة»[١٧٢]

٢ - أهمية الأمانة في نظر القرآن والأئمة عليهم السلام

أكّد الاسلام كثيراً على حفظ الأمانة والأئمة وفي القرآن تبين الآية ٨ من سورة المؤمنون أن من أحد أوصاف المؤمنين هي:

﴿وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ﴾

وقوله عزّ وجل في الآية (٥٨) من سورة النساء:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها﴾

قال الامام الصادق عليه السلام:

«إن الله لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى الربِّ والفاجر»[١٧٣]

وأيضاً قال: «فإنّ علياً إنما بلغ ما بلغ عند رسول الله ﷺ بصدق الحديث وأداء الأمانة»[١٧٤]

وقال أيضاً: «لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فإن ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش، ولكن انظروا على صدق حديثه وأداء أمانته»[١٧٥]

وقال أيضاً: «من أُتِمن على أمانةٍ فأدّاها فقد حلّ ألف عُقدةٍ من عُنُقه من عُقَدِ النّار»[١٧٦]

نفهم من هذه الرواية أن الأمانة عملٌ صعبٌ للغاية والانسان في هذا المجال في كل لحظة في خطر من الشيطان، ويجب بصورة جدّية ودائمة ومتواصلة مراقبة الامانة حتى لا يصل الضرر إليها.

وأيضاً قال: «لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج والمعروف وطنطنتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الامانة»[١٧٨]

سعة مجال الأمانة في أحاديث الأئمة

إن الامانة في الاسلام مهمة وجدّية إلى درجة أنه ليس لأحد عذر في تركها وفي كل حال كل ظرف يجب ارجاعها إلى صاحبها، وكافي لتوضيح هذا المطلب التوجه على ثلاث روايات وهي:

١ - قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«أدّو الأمانة ولو إلى قتلة أولاد الأنبياء»[١٧٩]

٢ - قال الامام السّجاد عليه السلام:

«عليكم بأداء الأمانة، فوالذي بعث محمداً نبيّناً لو أن قاتل أبي الحسين بن علي عليهما السلام إئتمنني على السيف الذي قتله به لأدّيته إليه»[١٨٠]

٣ - قال عبدالله بن سنان: رأيت الامام الصادق عليه السلام حيث كان جالساً بعد الصلاة ومتوجهاً للقبلة فقلت: «بعض السلاطين والطواغيت يضعون أمانةً ما عندنا ولا يؤدّون خمس أموالهم لكم، هل أردّ أمانتهم لهم؟»

فقال الامام الصادق عليه السلام في جوابه ثلاث مرات:

«وربّ هذه القبلة، لو أنّ ابن ملجم قاتل أبي - فإنّي أطلُبُهُ يتستّرُ لأنّه قتل أبي - إئتمنني على الامانة لأدّيتها إليه»[١٨١]

٣ - حفظ الاعتماد والاطمئنان في المجتمع

السر والفلسفة لاهتمام الاسلام بالأمانة هي حفظ الاعتماد والاطمئنان العام في المجتمع لأن المجتمع الذي لا يوجد فيه الاعتماد، سوف تتفرق وتتشتت قوامه وينشلّ اقتصاده ومن بعده ستحصل

عـشرات الحوادث المُرّة والمفاسـد المُخزية للانسـان، وبصورة كلية سـيضيق ميدان الحيـاة ويصبح مُر ولكن إذا كان الاعتماد والاطمئنان في المجتمع فأنه سـيكون له دور فعّال ومهم في سـلامة بناء المحيط، والحياة الجميلة والروابط الحسنة الاقتصاد الجيد.

ولـذا فالأئمـةعليهم السلام أمـروا بردّ الامانـة لصاحبها سـواء كان صاحبها بـرٌّ أو فاجرٌ إلى درجـة أنّ أمير المؤمنين عليّعليه السلام قال: «لا تخن من ائتمنك وإن خانك»

وحتى الرسـولصلى الله عليه وآله والأئمةعليهم السلام وصّوا ابنائهم في وصاياهم بالأمانة، وبصورة جدّية وخاصة دعوا الناس إلى أداء الأمانة.

وفي هذا المجال، روى أمير المؤمنين عليّعليه السلام: «أقسم بالله سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله في أيام رحلته»، قال ثلاث مرات:

«يا أبا الحسن أدّ الامانة إلى البرِّ والفاجر، فيما قلّ وجلّ، حتى في الخيط والمخيط»(١٨٢)

النتيجة: إن حق الامانة حقٌّ مهمٌ جداً، وبمراعاته تنشأ آثار قيّمة جداً وهي سندٌ للحقوق الأخرى، وعدم رعايتها يعتبر خيانة وذنب كبير غير مغفورٌ له.

أمانة الرسـولصلى الله عليه وآله: عندما فتح الرسـولصلى الله عليه وآله مكة بجيشـه، وأصبحت بيد الاسـلام، في ذلك الوقت كان مالـك مفتـاح الكعبة أحد المشركين ويسـمى «عثمان بـن طلحة» فأحضره الرسـولصلى الله عليه وآله وأخذ منه المفتـاح حتى يفتح باب الكعبة ويطهّرهـا من تلوث الأصنام، وبعد الانتهاء من ذلك طلب عباس عم الرسـولصلى الله عليه وآله من الرسـولصلى الله عليه وآله حتى يعطيه مفتاح الكعبة ويولّيه مقام مالك مفتاح الكعبة حيث كان لهذا المقـام احترام بين العرب، ولكن لأن الرسـولصلى الله عليه وآله يعلم أن الامانة حـق لصاحبها، رفض طلب عباس وأعطى المفتاح لعثمان بن طلحة وتلا هذه الآية:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأُماناتِ إِلى أَهْلِها﴾ (النساء-٥٨)(١٨٣)

وبذلـك الترتيـب ردّ الرسـولصلى الله عليه وآله حقّ عثـمان وما كان الرسـولصلى الله عليه وآله تحت تأثير نفوذ عمّه السـياسي والاجتماعية لتضييع حق فر، وبذلك احترم حقوق الانسان.

دراسة في الحق الثالث الوفاء بالعهد

ملاحظة

إن مـن أحد الحقـوق الاخلاقية المهمة جداً والتـي راعوها كل الائمةعليهم السلام بصـورة جدّية هي أصل الوفاء بالعهد.

يعتـبر هـذا الأصـل من الواجبـات المؤكدة ويعتـبر ضدّه وهو نقـض العهد من الذنـوب الكبيرة، ولدراسـة هـذا الأصـل والذي هو من الأركان الأساسـية للأخلاق الانسـانية والاسـلامية، لا بد أن نشرح المطالب الآتية بصور مختصرة:

١ - معنى العهد وأقسامه.

٢ - أهمية الوفاء بالعهد في نظر القرآن.

٣ - أهمية الوفاء بالعهد في أحاديث الرسولصلى الله عليه وآله وسلم والأئمةعليهم السلام.

٤ - مقتطفات من حياة الرسولصلى الله عليه وآله وسلم والأئمةعليهم السلام في هذا المجال.

١ - معنى العهد وأقسامه

يقولون أن العهد أو الوعد هو نوع من التعاهد بين شخصين أو مجموعتين، أو عدة أشخاص وعدة مجموعـات أو بين الأمة والإمام (البيعة)، والذي إذا كان بصورة مشروعة وصحيحة يجب حتماً الوفاء به.

إن للعهد معنى واسع، وفي المرتبة الأولى هو على قسمين:

١ - العهد مع الله.

٢ - العهد مع الناس.

وأيضاً يشمل العهود السياسية والتجارية والاخلاقية والحقوقية والاجتماعية، وأحياناً في مستوى واسع دولياً، واحياناً يكون بصورة بيعة والتي هي سياسية وأيضاً مذهبية، إجتماعية وحقوقية، وأحياناً في مستوى اصغر بين الحكومة والمقاول، وأحياناً يكون أصغر وأصغر وبصورة عهد بين شخصين في شيء عادي مثلاً أنني أتعاهد مع صديقي بأن نذهب إلى مكان معين في الساعة الثامنة، كل تلك الأمور في حالة شرعيّتها تكون تحت عنوان أصل الوفاء بالعهد ويجب الوفاء به بصور محكمة وجدّية.

إن الوفاء بالعهد والوعد يعتبر مثل القوام الذي يحكم الروابط الاجتماعية والسياسية و ... وغيرها، حيث إذا لم يكن مثل هذا الوفاء في المجتمع وفي الصفحات السياسية و ... غيرها فإن قوام الروابط ستتشتت وتتفرق ويفقد اعتبارها ومكانتها، ومن الواضح ان في مثل هذا المجتمع ستُخلى مفهوم الحياة، وتتبدل النظم والاعتبارات بالهرج والمرج وعدم الانضباط وعدم الالتزام، ولا تخفى على أحد رسائله المشؤومة والمخرّبة.

٢ - أهمية الوفاء بالعهد في نظر القرآن

أكّدت آيات متعددة في القرآن بالوفاء بالعهد، وهنا نكتفي بذكر عدد من النماذج من تلك الآيات:

١ - قال الله عزّ وجلّ في بيان الخير والأخيار في الآية (١٧٧) من سورة البقرة:

﴿وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا﴾

٢ - وقوله جلّ وعلا في الآية (١) من سورة المائدة:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾

٣ - ونقرأ في الآية (٩٢) من سورة النحل:

﴿وَ لا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ...﴾

قال الامام الباقر عليه السلام في شرح تلك الآية:

كانت امرأة تدعى «ربطة» من قبلية بني تيم، حمقاء وقليلة العقل تغزل بخيوطها حتى إذا انتهت من الغزل نقضت غزلها ومرةٍ أخرى تبدأ بالغزل.

فيصف الله سبحانه وتعالى ويشبّه ناقضي العهد بتلك المرأة الحمقاء.[١٨٤]

من مجموع هذه الآيات نفهم أن الوفاء بالعهد في الاسلام حق أساسي وأصلي للاحكام، وأمرٌ محكم وقيّم، ووصّى عليه بشدة حتّى يوفوا المسلمين بعهدهم، حيث إذا نقضوا عهدهم أُخرجوا من صف المحسنين والمؤمنين الصادقين، ويكونون أفراد مجرمين وبعيدين عن مذهب الرسل.

٣ - أهمية الوفاء بالعهد في أحاديث الرسولﷺ والأئمةعليهم السلام

دعـى الأئمةعليهم السلام أتباعهم بمئـات الأحاديث وبتأكيدات كثيرة بالوفاء بالعهـد، ومن الممكن القول بأنهـم لم يأكّـدوا على شيءٍ أكثر مـن رعاية العهد، وهنا نلفـت نظركم إلى عدة أحاديـث من بين المئات الخاصة بهذا لموضوع:

١ – قال رسول اللهﷺ: «لأدين لمن لا عهد له»(١٨٥)

٢ – قال أمير المؤمنين عليّعليه السلام:

«إن العهـود قلائـدَ في الأعنـاق عـلى يـوم القيامـة، فمـن وصلهـا وصلـه الله، ومن نقضهـا خذله الله»(١٨٦)

٣ – وأيضاً قال:

«إذا نقضوا العهد سلّط الله عليهم عدوّهم»(١٨٧)

٤ – قال الامام الصادقعليه السلام:

«عِدّةُ المؤمن أخاه نذرٌ لا كفّارة له، فمن أخلف فبِخلف الله بدأ، ولمقتِه تعرَّضَ»(١٨٨)

٤ - نماذج من الوفاء بالعهد في حياة الرسولﷺ والأئمةعليهم السلام

لاكمال هذا البحث سـنتطرق إلى عدة نماذج من السيرة العملية للرسولﷺ والأئمةعليهم السلام بخصوص العهد والوفاء به:

النموذج الأول:

يقـول عمّار ياسر: : قبل أن يصل محمدﷺ إلى مقام الرسـول، كان يرعـى غنم أهل مكة في الوديان، وكنت أيضاً في ذلك الزمان راعي للغنم، وفي يوم تعاهدت مع الرسولﷺ على أن نرعى الغنم معاً غداً في روضة برق الواقعة بين جبلين.

وفي الغد تأخرت وعندما وصلت إلى تلك الروضة رأيت رسول اللهﷺ قد سبقني وقائم يذود غنمه عن الروضة، فقلت: «لماذا تمنع الغنم من الرعي في تلك الأرض؟»

فقالﷺ: «إني كنت واعدتك فكرهت أن أرعى قبلك»(١٨٩)

النموذج الثاني:

كان رسـول اللهﷺ مـع رجل حينـما اراد الرجل أن يذهب إلى مكان ما، فتوقف رسـول اللهﷺ عند صخرة وقال له: «سـأظل هنا حتى تأتي»، ذهب ذلك الرجل ولم يأتي لمدة، ارتفعت الشـمس وبصورة مسـتقيمة أشرقت بنورها على وجه الرسـولﷺ، فقالوا له أصحابه: «يا رسـول الله، اذهب من هنا إلى

الظل». فردّ الرسول ﷺ: «قد واعدته إلى ها هُنا»[١٩٠]

النموذج الثالث:

بالنسبة للوعود التي واعد بها رسول الله ﷺ الناس ولكن على اثر بروز الحوادث لم يستطع الرسول ﷺ الوفاء بها، طلب أمير المؤمنين عليه السلام في أواخر عمره الشريف ووصّى هكذا: «يا أخي تقبَّل وصيَّتي وتنجِزُ عِدتي وتقضي عن ديني»

قال عليّ عليه السلام: «سأنجز وصيتك».[١٩١]

النموذج الرابع:

طلب الإمام السجّاد عليه السلام من شخص قرض بألف درهم فقال ذلك الشخص له: «أريد وثيقة في مقابل دفعي لك هذا المبلغ من المال وقرضه»

فأخذ الامام السّجاد عليه السلام بخيطِ من عبائته واعطاه وقال: «ليكن هذا الخيط وثيقة عندك تضايق ذلك الشخص من هذه الوثيقة الرخيصة».

قال الامام السّجاد عليه السلام: «أنا أوْلى بالوفاء أم حاجبٍ؟»

قال: «أنت أوفى»

قال الامام السّجاد عليه السلام: «مع أن حاجب بن زرارة الكافر قُبِل منه عهده بوضعه قوس خشبي مقابل مئة درهم، فهل عهدي لا يُوفي بخيطِ من عبائتي؟»

اقتنع ذلك الشخص وأقرضه عشرة آلاف درهم وأخذ من الامام عليه السلام خيط من عبائته كوثيقة ووضعه في صندوق صغير.

بعد برهة من الزمن، تحسنت أحوال الامام المادية، وذهب الامام عليه السلام إلى الدائن ليدفع له دينه وقال: «اعطني الوثيقة حتى أعطيك مالك»

فقال: «لقد ضاعت الوثيقة»

قال الامام عليه السلام: «على هذا لن تأخذ مالك، أمثلي يستخف بذمته؟»

وأخيراً عُثر على الوثيقة، واستلمها الامام السجّاد عليه السلام ودفع المال لصاحبه.[١٩٢]

في هذه الحادثة، حدّث الامام السجّاد عليه السلام عن أهمية الوفاء بالعهد، وباستخدام التعابير «أنا أولى بالوفاء» و «أمثلي يستخف بذمته» عرّف أصل الوفاء بالعهد بأنه من الأصول الأكيدة والقطعية في حياة الأئمة عليهم السلام.

الاصل السادس

حقوق الجيران

ملاحظة

إن مـن أحـد الحقوق المهمة في الاسـلام والتي طرحـت كأصل وحق مهم جداً بجانب الاحسـان للوالدين وصلة الرحم، هي رعاية حقوق الجار سواء كان قريباً أو بعيداً، وطبعاً كلما قرب كلما أصبح حقه أكثر.

قال رسول الله ﷺ: «حدّ الجوار أربعون داراً من كل جانبٌ»[١٩٣]

طُـرح هـذا الحـق في كل الدنيا كحـق اجتماعي مهم حتّـى وصل مجالـه إلى الدول المجـاورة أيضاً، ويُوصى الدول المجاورة برعاية حق الجوار.

ولكـن في الاسـلام اعتـبر هذا الحـق عظيم وكبير إلى درجة أنـه لم يعطى أي ديـن ومنهج أهمية لهذا الحق مثل الاسـلام وأحياناً، تظهر حقوق للجار مثل حق المشـترك بالمذهب، حق المشترك بالنوع، حق المشترك باللغة، وحق المشترك بالمدينة.

وللاطلاع على اهمية حق الجار في نظر الاسلام، سنتطرق إلى البحث التالي:

الاحسان للجار في نظر القرآن

نقرأ في الآية (٣٦) من سورة النساء:

﴿وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لا تُشْـرِكُوا بِهِ شَـيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْسـاناً وَ بِذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَسـاكِينِ وَ الْجـارِ ذِي الْقُرْبـى وَ الْجارِ الْجُنُبِ وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَ ابْنِ السَّـبِيلِ وَ ما مَلَكَـتْ أَيْمانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالاً فَخُوراً﴾

شرح قصير:

بيّن الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة سلسلة من الحقوق الاسلامية مثل حق الله وحق العباد وغيرهم ونستفيد من تلك العشر الأوامر أن هناك أمران مرتبطان بالجار القريب والبعيد.

وأيضاً نستفيد من الآية السابقة علاوةٌ على رعاية حق الجار على اساس العدالة، أن من اللازم الاحسان إليهم مثل الاحسان إلى الوالدين وأيضاً ذكرت الجيران البعيدة بصورة خاصة حتى لا يتصور أحد أن الجيران القريبة فقط لهم حق علينا.

ولأن من أحد العوامل المهمة لتضييع الحقوق هي التكبّر والأنانية فإن الآية السابقة ذكرت بصورة خاصة أن الله سبحانه وتعالى لا يحب الانسان المتكبّر، وهذا يعني أنه يجب على المسلمين التوجه لخطر والآثار المشؤومة للتكبّر، وطرد هذه الخصلة المشؤومة من النفس حتىّ يؤدي المسلم الحقوق الالهية الانسانية والتي من جملتها حق الجار بكل تواضع ورفق.

ما هي حقوق الجار؟

في المرتبة الأولى حقوق الجار هي أن لا تؤذيه بأي نوع من الأذى وفي المرتبة التالية أن تحسن إليه مثل أعضاء عائلتك، وإذا استغاثك أغثه، وإذا أراد منك قرض أقرضه، .... وغيرها.

في أحد أحاديث الرسول ﷺ تم ذكر احدى عشر حق للجار، مثلما نقل العلاّمة المجلسي في بحار الانوار، قال رسول الله ﷺ لمجموعة من الأصحاب: «أتدرون ما حقّ الجار؟»

قالوا: لا نعلم.

قال ﷺ: «إن استغاثك أغثه، وإن استقرضك أقرضه، وإن أفتقر عُدت عليه، ولإن أصابه خير هنّأته، وإن مرض عِدته، وإن أصابته مصيبةٌ عزّيته، وإن مات تبعت جنازته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الرّيح إلا بإذنه وإذا اشتريت فاكهة فاهدها له، وإن لم تفعل فادخلها سرّاً ولا يخرج بها ولدك يغيض بها ولده، ولا تؤذِه بريح قِدرك غلا أن تغرف له منها»[١٩٤]

قال الامام السجّاد عليه السلام: «أما حقّ جارك:

١ - فحفظه غائباً

٢ - واكرامه شاهداً

٣ - ونصرته إذا كان مظلوماً

٤ - ولا تتبع له عورة

٥ - فإن علمت عليه سوءً سترته عليه

٦ - وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه

٧ - ولا تسلّمه عند شديدة

٨ - وتقيل عثرته
٩ - وتغفر ذنبه
١٠ - وتعاشره معاشرة كريمة.»[١٩٥]

قال الامام الكاظم عليه السلام: «ليس حسن الجوار كفّ الاذى، ولكن حسن الجوار صبرك على الأذى»[١٩٦]

أهمية حق الجار في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما زال جبرئيل يُوصيني بالجار، حتّى ظننتُ أنّه سيورثه»[١٩٧]

روى الامام الصادق عليه السلام عن والده الامام الباقر عليه السلام أنه قال: «قرأت في كتاب عليّ عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كتب بين المهاجرين والانصار ومن لحق بهم من أهل يثرب: أنّ الجار كالنفس غير مضارّ ولا آثم وحرمة الجار على الجار كحرمة أمّه»[١٩٨]

خطب الامام الصادق عليه السلام في مجلس عامر بالناس وقال: «اعلموا أنه ليس منا من لم يُحسن مجاورة من جاوره»[١٩٩]

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «يا رسول الله ! إني أردتُ شراء دارٍ، أين تأمرني أشتري؟ في جهينة أم في مزينة أم في ثقيف، أم في قريش؟»

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الجار ثم الدار».[٢٠٠]

كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «سل عن الجار قبل الدار»[٢٠١]

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في ضمن وصيّته: «الله الله في جيرانكم، فإنهم وصيّة نبيكم، ما زال يوصي بهم، حتّى ظننا أنه سيُورثُهم»[٢٠٢]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حسن الجوار يعمر الدّيار ويُنسي في الاعمار»[٢٠٣]

جارُ السّوء

عن الباقر عليه السلام: «من القواصم الفواقر التي تقصّم الظّهر، جار السّوء، إن رأى حسنةً أخفاها، وإن رأى سيّئةً أفشاها»[٢٠٤]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أعوذ بالله من جار سوءٍ، تراك عيناه، ويرعاك قلبه، ون رآك بخير ساءه، وإن رآك بشرٍ سرّهُ»[٢٠٥]

قال عليّ عليه السلام: «جار السوء أعظم الضّراء وأشدّ البلاء»[٢٠٦]

قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُؤذي جاره»[٢٠٧]

من بات جاره جائع

قال رسول الله ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره المسلم جائع».[٢٠٨]

وقال ﷺ أيضاً: «ما آمن بي من بات شبعانً وجاره جائع»[٢٠٩]

وقال ﷺ أيضا: «من منع الماعون جاره، منعه الله خيره يوم القيامة ووكّله إلى نفسه، ومن وكّله إلى نفسه فما أسوء حاله».[٢١٠]

وقال ﷺ أيضاً: «ما آمن بي من بات شبعانٌ وجاره طاوي، ما آمن بي من بات كاسياً وجاري عاري».[٢١١]

وقال ﷺ أيضاً: «ليس بالمؤمن الذي يبيت شبعان، وجاره جائع إلى جنبه»[٢١٢]

قبسات من أساليب وأحاديث الرسول ﷺ والامام الصادق عليه السلام عن الجار

١ - جريدة من الرسول ﷺ عند السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بشأن الجار

مضت أيام على رحلة رسول الاسلام ﷺ، جاء رجل إلى باب بيت الزهراء عليها السلام وبعد اللقاء قال: «هل جعل رسول الله ﷺ عندك علماً وحديثاً كتذكرة حتى أستفيد منه؟»

فتذكرت فاطمة عليها السلام أنه سقط من رسول الله ﷺ حديثا، فقالت لجاريتها: «يا جارية هات تلك الجريدة»

فبحثت الجارية عن الجريدة، ولكنها لم تجدها، فرجعت وقالت لفاطمة عليها السلام: «لم أجدها»

قالت فاطمة عليها السلام: «ويحك اطلبيها فإنها تعدل عندي حسناً وحسيناً»

فذهب الجارية وبدأت ببحث دقيق عنها فوجدتها وأحضرتها للزهراء عليها السلام وكانت فيها عدة عبارات من قول الرسول ﷺ منها: «ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه ومن يؤمن بالله واليوم والآخر يكف أذاه عن جاره، ومن يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو فليصمت، يحب الله الانسان البر والصبور والحليم والعفيف، ويعادي الانسان الفاجر والحاقد والسائل (الذي يمد يده للمساعدة المالية)، وأعلم أن الحياء من الايمان، والإيمان يدخلك الجنة، والقذف من قلة الحياء، وقلة الحياء تدخلك النار.»[٢١٣]

وعلى هذا وجدت الزهراء عليها السلام تلك الجريدة مع التوجه الخالص لحفظ واحترام حديث الرسول ﷺ وجعلت الطالب يستفيد من معناها العالي.

٢ - أمر الرسو ﷺ وحيّه الشديد على عدم أذى الجار

في عصر الرسـول ﷺ، جاء رجلٌ إلى رسـول الله ﷺ واشـتكى جاره المؤذي، فقال له رسول الله ﷺ: «اصبر».

جاء مرة أخرى إلى الرسول ﷺ واشتكى أذى جاره. قال الرسول ﷺ: «اصبر».

ذهب وعاد للمرة الثالثة إلى رسول الله ﷺ واشتكى جاره.

فقـال لـه رسـول الله ﷺ: «في يوم الجمعـة عندما تسـير الناس لصـلاة الجمعة، اجمع أثـاث منزلك وضعهم في طريق الناس، وكل من يذهب إلى صلاة الجمعة ويسـألك لماذا وضعت أثاث منزلك هنا؟ قل لهم قصتك مع جارك.»

فنفّذ الرجل أمر رسول الله ﷺ، فعلم جاره بذلك، ولحفظ وجهه وحيثية جاء إليه وقال: «أرجع أثاثك إلى منزلك وأنا أتعهد الله بأن لا أؤذيك مرة أخرى».[٢١٤]

وعلى هذا، فإن النهي عن المنكر العملي وتنفيذ أمر رسول الله ﷺ أدّى إلى تأديب الجار السيء وتأمين حق الجار الآخر.

٣ - اعلان عام للرسول ﷺ ضد الجار السوء

روي عمـرو ن عكرمـة: حضرت عند الامام الصادق عليه السلام وقلت له: قـال عليه السلام: «ارحمه»، فقلت: «لا رحمه الله»

فصرف الامام وجهه عني، فقلت: يفعل كذا وكذا ويفعل بي ويؤذّيني

قال عليه السلام: «إن أظهرت العداوة له أأستوفيت منه حقك وعدلت في أخذه؟»

قلت: «بلى أُربي عليه»

قال عليه السلام: «إنّ ذا (أي جارك) ممّن يحسد النّاس على ما آتاهم الله من فضله، فإذا رأى نعمة على أحدٍ، فكان له أهلٌ، جعل بلاءه عليهم، وإن لم يكن لهم أهلٌ، جعله على خادمه، وإن لم يكن له خادم، أسهر ليله وأغاظ نهاره.

انّ رسول الله ﷺ أتاه رجل من الانصار فقال: إني اشتريت داراً في بني فلان، وإنّ أقرب جيراني منّي جواراً، من لا أرجو خيره ولا آمن شرّه.

قال فأمر رسول الله ﷺ عليّا عليه السلام وسلمان وأبا ذر - ونسيت آخره وأظنّه المقداد - أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم بأنه: «لا ايمان لمن لم يأمن جاره بوائقه»

فنـادوا بهـا ثلاثـا، ثـم أومـأ بيـد إلى كلّ أربعـين داراً، من بـين يديه ومن خلفـه، وعـن يمينه وعن شماله.»[٢١٥]

أي حدّ الحوار اربعون داراً.

٤ – الامر بالدعاء على جار السوء

قال يونس بن عبدالرحمن قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ لي جاراً من قريش من آل مُحرز قد نوّه باسمي، وشهّرني كلّما مررتُ به قال: «هذا الرافضي يحمل الاموال إلى جعفر بن محمّد عليه السلام».

قال الصادق عليه السلام: «فادعُ الله عليه إذا كنت في صلاة الليل وأنت ساجد في السجدة الأخيرة من الركعتين الأوليين، فاحمد الله عزّ وجلّ، ومجدّه وقل: اللهم إنّ فلان بن فلان قد شهّرني ونوّه بي وغاظني وعرضتي للمكاره، اللهم اضربه بسهم عاجل تشغله به عنّي، اللهم وقرّب أجله، واقطع أثره وعجّل ذلك يا ربّ الساعة الساعة.»

يقول يونس: عملت بأمر الامام الصادق عليه السلام، ولعنتُ ذلك الجار الظالم في صلاة الليل، وعندما رجعت من المدينة إلى الكوفة، وصلت ليلاً إلى الكوفة وسألت أهلي: «ماذا يعمل فلان» (يعني ما أخبار ذلك الجار السيء)

قالوا: إنه مريض، ولم أكمل حديثي حتّى سمعنا صوت النياح والبكاء من منزله، فسألت عن السبب، فقالوا أن فلاني قد مات.[٢١٦]

نعم، إن مسألة الجار وحقوقه مهمة جداً حيث يجب مراعاتها كاملاً، وإلا ارتكبت ذنباً كبيراً وله عقابٌ شديد وسريع.

نأمل أن كل المسلمين وغير المسلمين يبذلون جهدهم في حفظ حقوق الجيران حتى نحصل على حياة هادئة وبدون ازعاج.

الاصل السابع

حقوق الارحام والاهل

ملاحظة

إن مـن أحـد الحقوق الاجتماعيـة التي توجب الروابط الاجتماعية الحسـنة والآثـار المشرقة والمنيرة في حيـاة الانسـان وذُكرت كحقوق مهمة جداً في الاسـلام هي الحقوق المتقابلة بـين الارحام والاهل بعضهم لبعض، وتأتي بالاصطلاح «صلة الرحم وصلة القرابة».

لتوضيح هذا الحق الكبير سنتطرق إلى بحث الأمور التالية:

١ – معنى رَحِمْ، سعة معناه، فروعه وحدود صلة الرحم.

٢ – حقوق الارحام وصلة القرابة في نظر القرآن.

٣ – حديث عن الرسول ﷺ والائمة في أهمية صلة الرحم.

٤ – قطع الرحم الذنب الكبير.

٥ – مقتطفات من سيرة الامام الصادق عليه السلام في اهتمامه بصلة الرحم.

١ - معنى «رحم» وسعة صلة الرحم في الاسلام

كلمـة «رحم» في الاصل تأتي بمعنى القرابة، وفي العرف واللغة شـاملة لـكل القرابات من الرجل والمرأة، من بعيد وقريب، ومع أن الذين هم أقرب، تم التأكيد عليهم أكثر بالنسبة لصلة الرحم بهم.

الفقيه العالي المقام، الشهيد الأول (محمد بن مكي، المتوفي في ٧٨٧ هـ.ق) في كتابه «القواعد»، اتّخذ هذا المعنى الواسع لكلمة «رحم»، وردّ قل بعض علماء أهل السنة الذين يعتبرون صلة الرحم محدودة لأهل المحرم فقط، وقال:

«لمقتضى المعنى اللغوي والعرف والروايات، فإن لكلمة «رحم» معنى واسـع وشـامل لكل الأهل

من بعيد وقريب»، ثم كشاهد على قوله تمسّك بالقرآن حيث يقول في الآيات (٢٢ و٢٣) من سورة محمد ﷺ:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ...﴾

وفي تفسير على بن ابراهيم، روي عن الامام عليّ عليه السلام أنه قال: «هذه الية نزلت في بني أمية»، وعلى حسب قول الامام عليّ عليه السلام نفهم بخصوص تلك الآية أن كلمة «رَحِمْ» تشمل الاهل البعيد أيضاً، مع التوجه بأن بني أمية كانوا من الاهل البعيد لبني هاشم.(٢١٧)

يقول المؤلف: نُقلت روايات أخرى في سعة معنى «رحم» منها:

قال رسول الله: «في ليلة المعراج عندما أسري بي في السماء، رأيت هناك شخص متعلق بعرض الله ويشتكي من أحد رَحِمَه، سألته: كم بينك وبينه من ناحية الاب؟»

قال: «أربعين اباً».(٢١٨)

بوناءاً على الروايات الواسعة جداً والشاسعة ففي كل الحالات يجب مراعاة حدود صلة الرحم، حتى إذا قطعوا الاهل صلتهم بك، أو كانوا منحرفين ومذنبين، فلا يزال من واجبكم صلتهم، الامر الوحيد الذي يستثنى فيه صلة الرحم هو صلة الرحم التي تؤدي بك على الانحراف عن طريق الحق، وهنا توجهوا على الرواية الآتية:

جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ وقال: «كل أهلي قطعوا صلتهم بي ويسبّوني فهل لي أن أماثلهم بالرد وأقطع صلتي بهم؟»

قال الرسول ﷺ في الجواب: «تصل من قطعك، وتُعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك، فإنّك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهيراً.»(٢١٨)

الاقسام والفروع المختلفة لصلة الرحم

كيفية صلة الرحم تعتمد على التناسبات العرفية ولها مراتب وفروع مختلفة في الاجواء المختلفة، وأقل مرتبة هي اللقاءات والسؤال عن أحوال بعضهم ببعض، والاقسام الاخرى عبارة عن كف الأذى عن الرحم، المساعدة والدفاع عن حقهم باللسان والعمل، وهنا نتوجه إلى مقتطفات من أحاديث الأئمة عليهم السلام، قال الامام الصادق عليه السلام: «صل رحمك ول بشربةٍ من ماءٍ، وأفضل ما توصل به الرحم كفُّ الأذى عنها.»(٢١٩)

قال رسول الله ﷺ: «بلّوا أرحامكم ولو بالسلام»(٢٢٠)

يقول الفقيه العالي القدر المرحوم الشهيد الاول في كتاب القواعد: «صلة الرحم بالنسبة للأب والأم الفقيرين بالمساعدة المالية واجبة، ولكن بالنسبة إلى سائر الأهل الفقير صلة الرحم بهم بالمساعدة المالية متسحبة».

ثم قال: «أعلى مرتبة لصلة الرحم هي الارتباط الخالص للانسان بروحه وقلبه مع رحمه، ثم دفع الضرر عنها ثم ايصال المنفعة إليها ... وغيرها.

وأقل مرتبة لصلة الرحم هي السلام عليها ثم السلام على مراسلها والدعاء لها في غيابها ومدحها في حضورها».

وفي بقية الحديث يقول: «تنقسم صلة الرحم إلى قسمين:

١ - واجبة.

٢ - مستحبة.

صلة الرحم الواجبة هي أن يخرج الانسان من حدّ قطع الرحم، حيث يعتبر قطع الرحم من الذنوب الكبيرة، إذن ترك قطع الرحم واجب، ولكن صلة الرحم المستحقة هي الاضافة على ذلك الحدّ». (٢٢١)

٢ - صلة الرحم في نظر القرآن

جاءت آيات متعددة في القرآن المجيد بتأكيدات وتعابير شديدة تتحدث عن أهمية حقوق الأرحام وصلة الرحم والذنب الكبير في قطع الرحم، وهنا توجهوا إلى الآيات الآتية:

الف: نقرأ في الآية (٣٦) من سورة النساء:

﴿وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ بِذِي الْقُرْبى﴾

في هذا الآية تمّ ذكر الاحسان بالوالدين والاحسان لذي القربى بجانب وفي صف التوحيد وعدم الشرك حيث تبين الاهمية الكثيرة لصلة الرحم.

ب: وقوله تعالى في الآية (٢٢) و (٢٣) من سورة محمدﷺ:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ * أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمى أَبْصارَهُمْ﴾

ج: ونقرأ في الآية (٢٥) من سورة الرعد:

﴿وَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾

د: وجاءت الآية (٢٧) من سورة البقرة نظير تلك الآية ولكن باختلاف بسيط.

قال الامام السجّادعليه السلام لولده في ضمن حديث:

«وإيّـاك مصاحبـة القاطع لرحمه فإنّي وجدته ملعوناً في كتاب الله عزّ وجلّ في ثلاثة مواضعٍ....» ثم ذكر الآيات الثلاثة السابقة.[٢٢٢]

٣ - أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وآله والائمة في أهمية حقوق الأرحام

هنـاك المئات من الروايات بلسـان الرسـول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في أهمية صلة الرحـم الكثيرة وحقوق الأرحام، ومن بينها نعطف نظركم على عدد منها:

١ – قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله: «أوصى الشـاهد مـن أمتـي والغائـب منهـم ومـن في أصـاب الرجـال والنسـاء وأرحام النسـاء إلى يوم القيامة أن يصل الرحم وإن كانت منه على مسـيرة سـنةٍ، فإن ذلك من الدّين».[٢٢٣]

٢ – قال الامام الباقرعليه السلام: «صلة الرحم تُحسِّـن الخُلق، وتُسَـمِّحْ الكَفَّ، وتُطَيِّبُ النّفسَ، وتزيدُ في الرّزق، وتُنْسِىءُ الاجَلَ.»[٢٢٤]

٣ – جاء شخص إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «أخبرني ما أفضل شيءٍ في الاسلام؟»

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الايمان بالله».

فقال: «وما بعده؟»

قال الرسول صلى الله عليه وآله: «صلة الرحم».[٢٢٥]

٤ – وقال أيضاً: «أعجل الخير ثواباً صلة الرحم»[٢٢٦]

٥ – قال الامام الصادق لأحد أصحابه «مُيّسر»:

«قد حضر أجلُك غير مرّةٍ، كلُّ ذلك يُؤَخِّرُك الله بصلتك رحمك وبرّك قرابتك.»[٢٢٧]

٤ - قطع الرحم الذنب الكبير

إن الذنوب على نوعين:

١ – ذنوب صغيرة

٢ – ذنوب كبيرة

أما الذنوب الكبيرة هي التي أنذر الله سبحانه وتعالى منها بالعذاب، أو لعن العامل بها أو نهي عنها الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بشدة وأُنذر بعذاب إلهي أو اللعنة للعامل بها.

يعتبر قطع الرحم بالاسلام ذنب كبير وعلى حسب الآيات السابقة، فقد توعد الله سبحانه وتعالى لقاطع الرحم بالعذاب الإلهي واللعنة، وكل الأئمة الذين ذكروا الذنوب الكبير، ذكروا من بينها قطع الرحم كأحد تلك الذنوب.

ذكر الامام الصادق عليه السلام في حديث له ومستنداً على القرآن تسعة عشر ذنب بعنوان الذنوب الكبيرة ومن بينها قطع الرحم، وذكر الآية (٢٥) من سورة الالرعد ﴿أُولئكَ لَهُمْ اللَّعْنَةَ وَلَهُمْ سُوءُ الدّار﴾ كشاهد على أن قطع الرحم من الذنوب الكبيرة.[٢٢٨]

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «ثلاثة لا يدخلون الجنة، مدمن الخمر، ومؤمنُ س~حر وقاطع رحم.»[٢٢٩]

٥ - قبسات من أساليب الامام الصادق عليه السلام في صلة الرحم

وهنا لمعرفة أساليب معاملة الأئمة عليهم السلام في صلة الرحم وقطع الرحم وتوجهوا للنماذج التالية:

النموذج الأول:

«داوود رقّي» من أحد طلاب الامام الصادق عليه السلام، كان له ابن عمٍ منحرف وبلا دين وغير طاهر، وكان داوود وأفراد عائلته دائماً في أذى منه، ولكنه كان يراعي صلة الرحم وحتى أنه عند الاستعداد لسفره إلى مكة، أعطى لابن عمه حوّاله حتى يُأمّن مصاريف حياته.

قال داوود: في سفري لمكة، ذهبت إلى المدينة إلى المدينة ووصلت إلى الامام الصادق عليه السلام، فقال لي الامام الصادق عليه السلام بدون مقدمة وقبل ن أتكلم:

«يا داوود، عرضت عليّ أعمالك يوم الخميس، ومن جملة أعمالك الصالحة التي علمت بها كانت صلتك لرحمك بابن عمك، فسرني ذلك، إني علمت أنّ صلتك له أسرع لفناء عمره وقطع أجله».[٢٣٠]

النموذج الثاني:

كان حسن بن علی أصغر بن علي بن الحسين عليه السلام حفيد الامام السجّاد عليه السلام المعروف ب «حسن الأفطس» ابن عم الامام الصادق عليه السلام، وكان في حادثة قيام محمد بن عبدالله بن حسن المثنى المعروف «بالنفس الزكيّة» ضد المنصور الدوانيقي من حاملي اللواء ومن أصحابه وبعد شهادة محمد المثنى، اختفى حسن الأفطس لحفظ نفسه من أذى وضرر المنصور، فتوسط الامام الصادق عليه السلام له في لقائه مع المنصور وعفا عنه.

ساعده الامام الصادق عليه السلام كثيراً ومنحه، وفي نفس الوقت كان حسن الأفطس أحيانا يغضب على

الامام عليه السلام إلى حدّ أن في إحدى المرّات أخرج شفرته عليه.

ولكن الامام الصادق عليه السلام بعد هذه الحادثة أيضاً لم ينسى حقوق صلة الرحم الاسلامي وكان على ارتباط خالص به.[٢٣١]

وهنا توجّوا لهذه الرواية:

قالت إحدى جواري الامام الصادق عليه السلام وتدعى «سالمة»: فتح سيدي الامام الصادق عليه السلام عينيه عند الشهادة وحين الاحتضار، ووصّى على أقاربه: «اعطوا لحسن الافطس ٧٠ ديناراً ولفلان وفلان كذا وكذا ....»

فقلت: «أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة؟»

فقال: «أتريديني على أن لا أكون من الذي قال الله تبارك وتعالى فيهم هذه الآية:

﴿وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ يَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ ... أُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾(الرعد-٢١و٢٢)

نعم يا سالمة، إن الله خلق الجنة وطهّرها وعطّرها وإن ريحها ليُوجَدُ من مسيرة ألفي عامٍ فلا يجد ريحها عاقٌ ولا قاطع رحم.»[٢٣٢]

نفهم من هذا النموذج أنه يجب مراعاة صلة الرحم حتى للذين ردّوا الخير بالشّر، وصلة الرحم هي ليست فقط اللقاء والسؤال عن الاحوال وإنما منع ايصال الضرر والأذى ومساعدتها مالياً و .... وغيرها أجزاء من صلة الرحم.

النموذج الثالث:

عبدالله بن حسن المثنى المعروف بـ«عبدالله محض»[٢٣٣] هو حفيد الولدي للامام الحسن المجتبى عليه السلام وحفيد البنتي للامام الحسين عليه السلام وهو من الأفراد التي قامت ضد منصور الدوانيقي (ثاني طاغوت عباسي) ثم استشهد، حصل جدال شديد بينه وبين الامام الصادق عليه السلام في موضوع القيام (واحتمال بالنسبة لعدم بيعة الامام الصادق عليه السلام مع ابنه «محمد»)، إلى درجة أن كل منهما علا صوته أمام الثاني واجتمعت الناس حولهما، وجنّ الليل فتركا بعضهما وكلّ منهما في غضب على الآخر.

يقول صفوان الجمّال: في تلك الليلة خرجتُ من البيت لقضاء عمل ما، فرأيت الامام الصادق عليه السلام واقف أمام بيت عبدالله بن حسن ويقول: «يا جارية، أخبري أبو محمد (عبدالله بن حسن) حتى يحضر»

خرج عبدالله من البيت، وقال للامام الصادق عليه السلام: «يا أبا عبدالله، لماذا جئت في هذا الصباح الباكر الى هنا؟»

قال الامام الصادق عليه السلام: «البارحة قرأت آية في القرآن والتي اضطربت منها»

قال عبدالله: أية آية؟

قال الامام الصادق عليه السلام: هذه الآية (الرعد - ٢١) والتي يقول فيها الله سبحانه وتعالى:

﴿وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ يَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ﴾

قال عبدالله: «صدقت، إنني لم أقرأ هذه الآية أبداً في القرآن»، ثم عانقا بعض (دليل لصلة ولتجديد الارتباط) وظلا لمدة يبكيان.[٢٣٤]

تبين هذه الرواية بكل وضوح أنه يجب في كل الأحوال رعاية صلة الرحم مهما كانت حتى لو وصلوا إلى درجة الفسق والضلال.

الاصل الثامن

حقوق العامل والضيف

ملاحظة

إن من أحد الحقوق الاسلامية هي حقوق العامل والتي حُدّث عنها كثيراً في الدنيا، وأيضاً الحقوق المتقابلة بين الضيف والمضيف، والاسلام الذي هو دين العدل والاحسان وصّى كثيراً على هذه الامور مثل سائر الامور وأعطى أهمية بالغة لهذه الحقوق وبصورة أكمل من كل الأديان والقوانين الدولية.

ولتوضيح كلا الموضوعين سنتناول البحث فيهما بصورة مختصرة في فصلين.

الفصل الأول: العمل والعامل في الاسلام

هناك أوامر مختلفة في مسألة العمل والعامل في الاسلام والتي كل منهم تبين احترام الاسلام لحفظ حقوق العامل، ولبيان هذا الموضوع سنبحث باختصار في ثلاثة مطالب وهي:

١ - قيمة واحترام العمل والعامل في الاسلام.

٢ - النهي الشديد للاسلام عن البطالة.

٣ - الاحترام لحقوق العامل.

١ - قيمة العمل والعامل في الاسلام

قال رسول الله ﷺ: «من أكل من كدّ يده مرّ على الصراط كالبرق الخاطف.»[٢٣٥]

وقال أيضاً: «من أكل من كدّ يده، كان يوم القيامة في أعداد الانبياء ويأخذ ثواب الانبياء.»[٢٣٦]

قال أيضاً: «من بات كالاً من طلب الحلال بات مغفوراً له.»[٢٣٧]

كان الرسول ﷺ الائمة عليهم السلام يحبون العمل والسعي لتأمين معاشهم، ويشتغلون به، ويعتبرونه عبادة لله

سبحانه وتعالى، ولإكمال هذا البحث نذكر نموذجين لطيفين من حياة الرسولﷺ في هذا المجال:

النموذج الأول: العمل حافظ للوجه والشرف والاعتبار

وصل خبر على الرسولﷺ بأن أحد المسلمين الانصار (أهل المدينة) أصبح فقيراً ومحتاج، ذهب رسول اللهﷺ على بيته وقال له: «ماذا عندك في البيت؟ احضر كل ما عندك ولا تستهين به وتصغّره»

فأحضر سجادة رخيصة ووعاء واحد، قال الرسولﷺ للناس: «من الذي يشتريهما؟» قال شخص: «أنا أشتري بدرهمٍ واحد»

قال الرسولﷺ: «من الذي يشتري بسعر أكثر؟»

فاشتراهما شخص بدرهمين وأخذ الرسولﷺ المبلغ وأعطاه للمسلم الفقير وقال له: «بدرهم اقض حاجاتك اليومية وبالدرهم الآخر اشتر فأس».

فذهب واشترى فأس وجاء إلى الرسولﷺ وقام الرسولﷺ باحكامه جيداً ثم أعطاه للفقير وقال: «خذ هذا الفأس واذهب إلى الصحراء للحطابه، ولا تصغّر أبداً أي عملٍ، واجمع في الصحراء كل ما رأيت من الشوك والخشب والحطب، ثم بعهم.»

استمر الفقير على هذا العمل لمدة خمسة عشر يوماً وكان يجمع الحطب ويأخذها إلى المدينة ويبيعها ومن هذا الطريق تحسنت أحواله وحياته ومعيشته، وأمّن معاشه ومعاش عائلته، فقال له الرسولﷺ: «هذا خيرٌ من أن تجييء يوم القيامة وفي وجهك كُدوح الصدقة»[٢٣٨]

النموذج الثاني: تقبيل يد العامل

يقول أنس بن مالك: بعدما رجع رسول اللهﷺ من غزوة تبوك، ذهب سعد الانصاري لاستقباله وصافح رسول اللهﷺ.

قال له الرسولﷺ: «ماذا فعلت بيدك حتى أصبحت خشنة؟»

قال سعد: «يا رسول الله، إني أعمل بالحبل والجاروف واكسب من وراءه معاشي ومعاش عائلتي، لهذا أصبحت يداي خشنة»

فقبّل يده رسول اللهﷺ وقال: «هذا يدٌ لا تمسها النار.»[٢٣٩]

٢ - النهي الشديد والمبارزة للاسلام ضد البطالة والفقر

في مذهب الرسولﷺ والأئمةعليهم السلام، اعتبرت البطالة والفقر والسؤال وطلب الصدقة من الصفات السيئة جداً وذو بلاءٍ كثير وعلى سبيل المثال نلفت نظركم إلى عدة روايات:

١ – كانت من عادة الرسولﷺ أنه اذا التقي بشخصٍ قوي ينبهر به ويسأله:

«هل تعمل» فإذا كان الجواب لا، يقول: «سقط من عيني».[٢٤٠]

٢ – جاء رجل إلى الامام الصادقعليه السلام وقال: «لا أستطيع العمل بيدي ولا أعلم شيئاً في التجارة، وإني محتاجٌ ومحروم، فماذا أفعل؟»

قال له الامام الصادقعليه السلام: «إعمل واحمل على رأسك واستغن عن الناس».[٢٤١]

٣ – قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «ملعونٌ من ألقى كلّه على الناس».[٢٤٢]

٤ – قال الامام الصادقعليه السلام: «لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلالٍ يَكُفُّ به وجهه ويقضي به دينه ويَصِلُ به رحمهُ».[٢٤٣]

٥ – قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «طلب الحلال فريضةٌ على كلّ مسلمٍ ومسلمة».[٢٤٤]

قال الامام الكاظمعليه السلام: «إنّ الله تعالى ليبغض العبد النوّام، إنّ الله ليبغض العبد الفارغ».[٢٤٥]

٣ - الاحترام لحقوق العامل

نستفيد جيداً من تلك الروايات والتي هي نماذج من مئات الروايات في هذا المجال، أن الاسلام احترم العمل والعامل احتراماً كثيراً وأعطاه قيمة عالية نهى بشدة عن البطالة.

وتصل قيمته على حدّ أن الرسولصلى الله عليه وآله يقبّل يد العامل، والتي تبين أن الحماية الاسلام للعاملين مهمة جداً وجدّية وقطعاً يجب التوجه لها، حتى يكون العامل في حماية من كل جانب، ويؤدي حقوقه كاملاً.

ولمزيد من الإيضاح نلفت نظركم إلى الروايات التالية:

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «اعط الاجير حقه قبل أن يجف عرقه.»[٢٤٦]

وقال أيضاً: «ملعون من ظلم أجيراً أجرته.»[٢٤٧]

قال الامام الصادقعليه السلام: «من ظلم أجيراً أجره أحبط الله عمل، وحرّم عليه ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام.»[٢٤٨]

الامام الرضاعليه السلام وحمايته عن حق العامل

يقول سليمان جعفر: كنت مع الامام الرضاعليه السلام، وأخذني إلى بيته، عندما دخلنا البيت رأى الامام الرضاعليه السلام غلامٌ أسود يعمل ببناء جدار الاصطبل، فقال للغلمان الذين كانوا حاضرين: «من هذا الذي يعمل؟»

قالوا: «جئنا به للعمل وفي النهاية سنعطيه أجرته»

قال الامام الرضاعليه السلام: «هل قاطعتوه على أجرته؟»

قالوا: «لا، سيرضى بأي شيء نعطيه».

فضربهم الامام الرضاعليه السلام بالسوط الذي كان بيده، وغضب لماذا لم يقاطعوه أجرته.

قال سليمان الجعفري للامام: «روحي لك الفداء، لا تتضايق هكذا فالموضوع غير مهم».

فقال الامام الرضاعليه السلام: «إنّي قد نهيتهم عن مثل هذا غير مرّة أن يعمل معهم أحدٌ حتى يقاطعوه أجرته، واعلم أنه ما من أحد يعمل لك شيئاً بغير مقاطعة، ثم زدته لذا الشيء ثلاثة ضعاف على أجرته، إلا ظنّ أنّك قد نقصته اجرته، وإذا قاطعته ثمّ أعطيته أجرته، حمدك على الوفاء، فإن زدته حبّة عرف ذلك لك، ورأى أنّك قد زدته.»(٢٤٩)

الفصل الثاني: حقوق الضيف والمضيف

ولادراك أهمية حقوق الضيف والمضيف في الاسلام، سنتطرق إلى المواضيع التالية:-

١ - قيمة اكرام الضيف في الاسلام.

٢ - حق المضيف، إجابة دعوته.

٣ - الوظائف والحقوق المتقابلة بين المضيف والضيف.

١ - أهمية الضيافة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الضيف دليل الجنة».(٢٥٠)

وأيضاً قال: «البركة أسرع على من يُطعم الطعام من السّكين في السّنام.»(٢٥١)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المؤمن الذي يحب الضيف، في يوم القيامة عندما يخرج من القبر، يتلألأ وجهه كالبدر في ليلة الرابعة عشر»، فتقول الناس: «حتماً هذا الشخص من أحد الأنبياء والمرسلين»

فتقول الملائكة لهم: «هذا مؤمن يحب الضيف ويكرم الضيف، ولا سبيل له إلا أن يدخل الجنة».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عندما يريد الله الخير والسعادة لقوم ما، يهديهم هدية»

فقال الحاضرون: «وما هي الهدية؟»

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الضيف ينزل برزقه ويرتحل بذنوب أهل البيت».(٢٥٢)

إكرام الامام الرضاعليه السلام وتواضعه

يقول ياسر الخادم: عندما يفرغ الامام الرضاعليه السلام من الاعمال، يجمع من حوله من العاملين من صغير وكبير ويتحدث معهم ويأنس بهم وهم أيضاً يأنسون به، وعندما يجلس عند السفرة في وقت

الأكل، يُجلس معه الصغير والكبير وحتى رئيس العاملين بالاصطبل وخادمه ويأكل معهم.

يقول ياسر: قال لهم الامام الرضاعليه السلام: «إذا قمتُ من على السفرة، ولا زلتم تأكلون فلا تقوموا حتى تفرغوا.»

وأحياناً كان يطلب أحدنا، فيقولون له أنّه يأكل فيقل: «دعه يأكل حتى يفرغ من الطعام». (٢٥٣)

وروي أيضاً، في ليلة ورد على الامام الرضاعليه السلام ضيف، فجلس معه وشرع في الحديث معه، ففجأة قلّت شعلة المصباح، مدّ الضيف يده لإصلاح المصباح، فمنعه الامامعليه السلام وقام بإصلاح المصباح بنفسه ثم قال: «إنا قومٌ لا نستخدم أضيافنا». (٢٥٤)

٢ - أهمية إجابة دعوة المؤمن، حق المضيف على الضيف

إجابة دعوة المؤمن للضيافة في نظر الاسلام لها قيمة عالية وشأن عظيم وتعتبر من حقوق المضيف، وموجبة للثواب وآثار وضّاءة، في هذا المجال توجهّوا للروايات الآتية:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أوصي الشّاهد من أمتي والغائب أن يُجيب دعوة المسلم ولو على خمسة أميالٍ، فإنّ ذلك من الدّين». (٢٥٥)

قال: «لو أن مؤمناً دعاني إلى ذراع شاةٍ أجبته، وكان ذلك من الدّين». (٢٥٦) وقال أيضاً:

«من الجفاء . . . أن يُدعي الرجل إلى طعام فلا يُجيب، أو يُجيب فلا يأكل.» (٢٥٧)

قال الامام الصادقعليه السلام: «من حق المسلم أن يُجيبه إذا دعاه».

وجاء في حديث آخر له عن إجابة دعوة المؤمن: «من الحقوق الواجبات للمؤمن.» (٢٥٨)

ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «من أعجّزِ العَجزِ، رجلُ دعاهُ أخوه إلى طعامٍ فتركه.» (٢٥٩)

٣ - الوظائف والحقوق المتقابلة بين المضيف والضيف

لكل من المضيف والضيف في نظر الاسلام حقوق على الآخر، وسنشير إليها هنا بصورة مفهرسة:

١ - ذمّ الاسلام الضيف الغير المدعو، وعلى هذا فإن من حق المضيف أن لا يحضره الضيف من غير دعوة.

٢ - وأيضاً يجب على الضيف ألا يصطحب معه طفله لبيت المضيف، لأن الضيف لم يدعوا الطفل، إذن من حق المضيف على الضيف أن لا يفعل ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من مشى إلى طعام لم يدع غليه، دخل سارقاً، وخرج معيّراً.» (٢٦٠)

قال الاما الصادقعليه السلام: «إذا دُعي أحدكم إلى طعامٍ فلا يستتبعنّ ولده، فإنّه إن فعل ذلك كان حراماً ودخل غاصباً».[٢٦١]

٣ – تمت التوصية على ألا يستضيف المضيف الأغنياء فقط بل والفقراء أيضاً، قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «شرّ الطّعام، الوليمة يُدعى إليها الشّبعان، ويَحبس عنه الجيعان».[٢٦٢]

وقال: «يُكره إجابة من يشهدُ وليمته الأغنياء، دون الفقراء».[٢٦٣]

٤ – تمت التوصية على أن المضيف يدعو الأشخاص المحبوبين عند الله سبحانه وتعالى، وفي هذا المجال قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «أضف بطعامك من تُحبُّ في الله».[٢٦٤]

٥ – تمت التوصية على أن يعدّ المضيف الخلال للمضيف، وهذا حق للضيف على المضيف مثلما قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «إنّ من حق الضّيف أن يعدّ له الخلال».[٢٦٥]

٦ – تمت التوصية على أن يأكل المضيف الطعام مع ضيفه ولا ينفرد بنفسه وفي هذا الموضوع قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «من أحبّ أن يُحبُّه الله ورسوله فليأكل مع ضيفه».[٢٦٦]

٧ – تمت التوصية على خدمة الضيف بصورة حسنة وجيدة.

قال الامام الصادقعليه السلام: «عندما يدخل عليك الضيف، قدم له الطعام، وإذا لم ياكل قدّم له الشراب، وإذا لم يشرب، قدم له الماء لغسل يده (أو للوضوء).»

بمعنى أنه يجب على المضيف أن يهتم بالضيف ويعتني به.

روى أن رسول اللهصلى الله عليه وآله كان يخدم الضيوف بنفسه، مثلما جاء في التاريخ:

لّما قدم وفد النّجاشي على رسول اللهصلى الله عليه وآله قام بخدمهم بنفسه.[٢٦٧]

٨ – يجب على المضيف ألا يظل في بيت المضيف أكثر من ثلاثة أيام، قال رسول اللهصلى الله عليه وآله:

«الضيافة ثلاثة أيام، فما زاد فهو صدقة، وعلى الضيف أن يتحوّل بعد ثلاثة أيامٍ.»[٢٦٨]

يقولون أن شخصٌ قدم على آخر كضيف وظل عنده عدة ايام ولم يرحل عنه، فتضايق المضيف مع زوجته منه، ولكن كانا يستحيان أن يقولان له بأن يرحل، وأخيراً قالا له بأسلوب آخر: «مضت عليك مدة طويلة هنا وعائلتك بانتظارك»

قال الضيف: «المكان هنا جيد، لذا كتبت لهم أن يجيئوا إلى هنا ... !!»

٩ – تمت التوصية على أن يجلس الضيف في المكان الذي يقرره المضيف للجلوس به، قال الامام الباقرعليه السلام في تعليله لذلك: «فإنّ صاحب الرّحل أعرف بعورة بيته».[٢٦٩]

١٠ – تمت التوصية على أن يعامل المضيف عند الأكل الضيف بكل محبّة وأخلاق حسنة ويهتم به، قال أمير المؤمنين: «ما من مؤمنٍ يسمع بهمس الضّيف وفرح بذلك إلا غُفرت له خطاياه».[٢٧٠]

رعاية العدل في حق الولد والوالد

خاطب الامام الحسن العسكري عليه السلام أحد الشيعة وقال:

«أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدّهم قضاءً لها، أعظمهم شأناً، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه، فهو عند الله من الصّدّيقين، ومن شيعة عليّ بن أبي طالب حقّاً».

ثم نقل هذه القصة اللطيفة وقال: استضاف أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والدٍ وولده، وبعد الانتهاء من الأكل، جاء أمير المؤمنين عليه السلام بابريق وطشت ومنشفة للضيفين حتى يغسلا يديهما، فذهب أولا إلى الوالد وصبّ الماء حتى يغسل الوالد يده، فاستحى الوالد وطلب المعذرة منه، ولكن أصرّ الامام عليه السلام وغسّل يديه، ثم أعطى الابريق والطشت لابنه محمد الحنفية وقال: «اغسل يد ابن الضيف».

ثم قال: «إذا كان هذا الولد لوحده لغسلتُ يده، ولكن الله سبحانه وتعالى يأبى ن يُحترم الوالد والولد في موضعٍ واحد وبالتساوي».[٢٧١]

الاصل التاسع

المساواة في حقوق الناس في بيت المال

ملاحظة

يوجد في كل دولة أموال عامة، والاموال التي تُجمع من الضرائب والزكاة والأملاك العامة من قبيل الغابات والبحار والنفط والسدود العمومية، والأرباح التي تربح من الأموال الحكومية و .... غيرها، تُسمى بميزانية الدولة، وتُسمى في عُرف المسلمين ببيت المال، وهذا التعبير جاء على لسان الأئمة عليهم السلام ومن جملة ذلك ما قال أمير المؤمنين عليه السلام بشأن المساعدة لشيخ كبير في السن: «أنفقوا عليه من بيت المال».[٢٧٢]

إن المنابع الرئيسية لبيت المال في الاسلام هي:

١ - الزكاة

٢ - الخمس

٣ - الانفال

٤ - الفيء

٥ - الجزية

٦ - الخراج

ولبيت المال مصاريف خاصة، والآن في الدول تُحدد وتُصرف على حسب المقرّرات الحكومية وتُسمى بالميزانية السنوية.

وأيضاً في الحكومة الاسلامية تُصرف على حسب راي مرشد وحاكم الدولة ومقررات الدولة الاسلامية، وقد بنيت مقررات الحكومة الاسلامية بخصوص بيت المال على أساس توزيع عادل حيث تعتبر تضييعها خيانة للأموال العامة وذنب كبير وموجبة لتضييع حق الناس وضماناتها.

الانفال في الاسلام

من أهم منابع بيت المال في الاسلام هي الانفال، ثم الزكاة والخمس حيث جاء ذكرها ومصارفها في القرآن.

وعن الانفال نقرأ في الآية الأولى من سورة الانفال التالي:

﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾

نستنتج من بعد دراسة الروايات أنّ الانفال عبارة عن:

١ - الأموال التي حُصلت عليها بدون حرب.

٢ - ميراث الشخص الذي لا وارث له.

٣ - الارض التي تركوها أهلها.

٤ - الغابات وقمم الجبال والوديان.

٥ - الأراضي القفراء التي لا صاحب لها.

٦ - غنائم الحرب.

٧ - صوافي الملوك وعطاءاتهم.

حديث قصير: الانفال هي الثروات العمومية مثل الأراضي القفراء، المعادن، البحار، البحيرات، الانهار وسائر المياه العمومية، الجبال، الوديان، الغابات والمراتع، الارث بدون الوارث، أموال مجهولة المالك والأموال العمومية التي تُسترد من الغاصبين، وتكون تحت تصرف الحكومة الاسلامية حتى تُعمل بها على حسب المصالح العامة.

أول شخص أسس بيت المال في الاسلام هو الرسولﷺ، وكان في بيتهﷺ وشكّل على يده، وكلما تزيد سعة تشكيلات المسلمين ونفوذ الحكومة الاسلامية تتوسع تدريجياً دائرة بيت المال.

ومن الأمور التي تؤيد هذا المطلب هي مسألة تشريع الزكاة والخمس والانفال في عصر الرسولﷺ والتي بيّنها القرآن في آيات متعددة.

كان الرسولﷺ في توزيعه العادل لبيت المال دقيق جداً ووصّى بالدّقة وعدم التفرقة بين الأفراد في نصيبهم من بيت المال حتى يستفيد الأسود والأبيض، الرجل والمرأة و ... والجميع من بيت المال بصورة عادلة.

نموذجين في دقة عمل الرسولﷺ في بيت المال

١ - كان رجلُ اسمه «مِدعَم» من أحد خدّام الرسولﷺ، وفي أحد الجبهات بعد غزو خيبر جاء

مدعم بجملٍ يحمل على ظهره بضاعة وأثاث وتوقف عند جيش الاسـلام حتى ينزّل البضاعة من على ظهر البعير، وفي هذه اللحظة أطلق عليه العدو بسهمٍ استشهد فوراً من بعده.

فذهـب إليه الرسـول ﷺ وأصحابـه، وحزنوا أصحابه بشـدة عليـه وعزّوا الرسـول ﷺ وفي نفس الوقت كانوا يقولون: «هنيئاً له الجنّة».

ولكـن رأووا الرسـول ﷺ في حالة غضب، ولم يكن يتوجّه له ولم يعتنـي به (مع التوجه بأن غضب الرسول ﷺ ليس كغضب سائر الناس، وحتماً في ذلك حكمة)، وفجأة قال الرسول ﷺ في مقابل قولهم «مدعم ذهب إلى الجنة، هنيئاً له الجنة» : «كلا إن الشّملة[٢٧٣] التي أخذها من الغنائم يوم خيبر لتشتعل عليه ناراً».

وفي سيرة ابن هشام نقل أن الرسول ﷺ قال في مقابل أقوال أصحابه: «كلا والذي نفس محمد بيده إنّ شّملته الآن لتُحترقُ عليه في النار، كان غلّها من فييء المسلمين يوم خيبرٍ».

سمع شخص هذا القول من الرسول ﷺ فحضر عنده وقال:

«أصبحت شِراكين لنعلين لي».

فردّ رسول الله ﷺ عليه: «يُقدّ لك مثلهما في النار».[٢٧٤]

هذا نموذج واحد للنهي عن المنكر للرسول ﷺ حتى يحافظ الجميع على بيت المال بشدة ولا يُضيّع حق الآخرين.

٢ - بعـد غـزوة حنين وانتصار جيش الاسـلام والحصـول على نائم حربية كثيرة، بدأ الرسـول ﷺ بتقسـيمها على المسلمين بصورة عادلة ثم بعد الانتهاء قام وابتعد عن موضع تقسيم بيت المال، فذهب خلفه بعض الذين أسـلموا حديثاً، وطلبوا منه تقسـيم سائر الغنائم عليهم أسرع من غيرهم بينما كانوا يجرّون بعباءة رسول الله ﷺ.

قـال رسـول الله ﷺ: «والذي نفـسي بيده، إذا كان لدي متاعُ من غير حسـاب، لقسّـمته بينكم (ولم أدّخر لنفسي شيئاً) عندها لم تلتقوا بي كالبخيل والخائف».

في ذلـك الوقـت مـرّ من عنده بعير قد حصلـوا عليه من الغنائم فأخذ من خلقـه قليلاً من الصوف ووضعـه بـين أصابعه وقال: «أيها الناس ! والله إن نصيبكم لا يعدل شـيئاً عنـي بمقدار هذا الصوف، وأيضـا أرجعـت خمسـها إليكم، فمن خان وأخذ شـيئاً ولو بمقـدار إبرة وخيط من أيـة غنائم فليرده، فللخائن لبيت المال في يوم القيامة التأخّر والنار والقبح».

تأثّر رجلٌ من الأنصار وأحضر قليل من الخيط إلى الرسول ﷺ وقال:

«هذا قليلٌ من الخيط أخذته من غير إجازة من الغنائم حتى أخيط به جهاز بعيري.»

قال الرسول ﷺ: «إني أُهديك إياه بمقدار حقّي منها».

قال ذلك الشخص: «بما أنّ الأمر وصل إلى هذا الحد، وبهذه الصورة حساب بيت المال دقيق فلا أحتاج هذا المقدار من الخيط»، ثم أعطاه للرسول ﷺ.[٢٧٥]

نماذج من دقة الامام عليّ عليه السلام في حفظ بيت المال

بعد رحلة رسول الله ﷺ، اتّبع أيضاً الخليفة الأول والثاني في حدود ما نفس منهاج الرسول ﷺ في رعاية بيت المال،، ولكن عندما استلم عثمان الحكم، بدأ الهرج والمرج في بيت المال، وظهرت التفرقة من كل جهة وحصلت بعض أقارب عثمان ثروات كثيرة من غير حساب نتيجة الغش والخيانة في بيت المال[٢٧٦]، ممّا أدت إلى اعتراضات شديدة وبالنهاية إلى قتل عثمان.

من بعد عثمان، بايعت الناس مع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وحصل على الحكم بعنوان الخليفة الرابع.

وأدّ الأسلوب العادل لعليّ عليه السلام في تقسيمه المساوي لبيت المال وترك كل تفرقة وظلم إلى أن يخالفوه بعض الأغنياء ومحبين الهوى وعلى رأسهم طلحة وزبير، ووصل الامر إلى أن اشتدت مخالفتهم وزيادة أفراد مجموعتهم وفي النهاية صمّموا على قيام الحرب بالسلاح.

وفي هذه الظروف الصعب حضر جمعٌ من اصحابه الأوفياء عنده وقالوا:

«أظهر الميل لهم بصورة مؤقتة وضع امتياز لكبار القوم حتى لا ينقلبوا على حكومتك، وابقِ ببعض حكام الولايات على منصبهم بالرغم من أنهم غير لائقين لذلك المنصب، أنهم رجال قومٍ لا يجب مضايقتهم وراعهم حتى يسكتوا».

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في الجواب بخصوص التقسيم المتساوي لبيت المال وترك التفرقة:

«أتأمرني أن أطلب النصر بالجور فيمن وُلّيت عليه، والله لا أطور به ما سمر سمير، وما أمّ نجمٌ في السماء نجماً، ولو كان المالُ لي لسويّتُ بينهم، فكيف وإنّما المال مال الله.

ألا إنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا، ويضعه في الآخرة، ويُكرمه في الناس، ويُهينه عند الله، ولم يضع امرءٌ في غير حقّه وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم، وكان لغيره وُدّهم، فإن زلّت به النّعل يوماً فاحتاج إلى معونتهم نشرّ خليلٍ وألأمَ خدين.»[٢٧٧]

يوجد في نهج البلاغة مواضيع كثيرة من أقوال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والتي تبين دقة واحتياط عليّ عليه السلام في حفظ بيت المال ومساواته وتوزيعه العادل ومبارزته الشديدة ضد خائني بيت المال، وكنموذج نلفت نظركم إلى الأمور الآتية:

١ – كتب أمير المؤمنين ع) في رسالة إلى زياد بن أبيه ولي عهد حاكمه عبدالله بن عباس في البصرة:

«وإني أقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني أنّك خُنت من فيءُ المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشُدّنَ عليك شّدَّةً تدعكُ قيل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الامر»[٢٧٨].

٢ - وجاء في مقطع من الكتاب الذي كتبه إلى أهل مصر وبعثه بواسطة مالك بن أشتر:

«ولكنّي آسى أن يلي أمر هذه الأمة سُفهاوُها وفُجّارها، فيتّخذوا مال الله دُوَلاً، وعبادهُ خُوَلاً»[٢٧٩].

ردة الفعل الشديدة لعليّ عليه السلام مع عقيل لحفظ بيت المال

عندما تولّى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام زمام الحكم، صعد المنبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بين حضور الناس وقال بعد الحمد الالهي: «أيها الناس ! والله إني لم آأخذ لنفسي درهماً من بيت المال، ولم أقلل درهماً من أموالكم، فاطمئنوا، لو كنت أملك نخلةً واحدةً في المدينة، لن أستفيد شيئاً من بيت مالكم، فاجعلوا ضميركم القاضي، هل ترونني بالصورة التي آخذ حقكم؟»

قام عقيل أخ الامام والذي كان من بينهم وقال:

«والله لأنك ساويتني بغلام أسود في المدينة»

قال له الامام عليّ عليه السلام: «اجلس، ألم يكن هناك غيرك يتكلم، إنك لست بأفضل من الغلام الأسود إلا بالتقوى والعمل الصالح».[٢٨٠] (لذا فان ملاك الأفضلية ليس الحسب والنسب)

جاء في قصة الحديد المعروفة أنه كان عقيل ذو عيال وجاء عدة مرات عند الامام عليّ عليه السلام وطلب زيادة في حقه من بيت المال لتأمين معشيته، فعامله الامام عليّ عليه السلام معاملة شديدة جداً وقال له في حديث:

«والله لأن أبيت على حسك السّعدان مُسهّداً، وأجرّ في الاغلال مُصغّداً، أحبُّ إليّ أن ألقي الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وعاصباً لشيءٍ من الحُطام، وكيف أظلم احداً لنفس يُسرع إلى البلى قُفولها ويطول في الثرى حُلولها، والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بُرّكُم صاعاً، ورأيت صبيانه شعثَ الشّعور، غُبر الألوان من فقرهم كأنّما سُوّدت وجوههم بالعظلم، عاودني مؤكداً وكرّر عليّ القول مُردّداً، فاصغيت إليه سمعي فظنّ أنّي أبيعه ديني وأتّبع قيادهُ مُعارفاً طريقتي، فاحميتُ له حديدةً، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضجّ ضجيج ذي دَنَف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل أتئنُّ من حديدةٍ أحماها انسانها لِلَعبِه، وتجرُّني إلى نار سجَرها جبّارها ذلك لغضبه، أتئنّ من الاذى، ولا أئن من لظى»[٢٨١].

الامر بالاحتياطي في صرف بيت المال

روى الامـام الباقـر عليه السلام عن والده، وروى والده عن والده أن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كتب لنوّابه هذه الرسالة:

«أدقّوا أقلامكم، وقاربوا بين سـطوركم، واحذفوا عني فضولكم، واقصدوا قصد المعاني، وإيّاكم والاكثار فإنّ أموال المسلمين لا تحتمل الاضرار.»[٢٨٢]

نموذج آخر:

روى اصبغ بن نباته أنّه في عصر خلافة عليّ عليه السلام أحضروا له أموالاً، فأتى بالمسـتحقين، وقسّم بينهم الأمـوال بصـورة عادلـة، ولم يمر مـن عند بيت المـال حتى وزّع كل الاموال للمسـتحقين ثـم أمر بأن يكنسوا بيت المال ويغسلوه، ثم صلّي ركعتين وقال بعد الصلاة: «يا دنيا عرّي غيري، فقد طلّقتك ثلاثا دون رجعة».[٢٨٣]

ومـن أقواله المعروفـة: «الذليل عندي عزيزٌ حتّى آخذ الحقّ له، والقـويّ عندي ضعيفٌ حتى آخذ الحقّ منه».[٢٨٤]

ولاكمال هذا البحث توجهوا إلى القصة الليفة الآتية:

الحديث اللطيف لضرار بشأن عدل عليّ عليه السلام وحمايته عن حقوق الناس

بعد مدة من شهادة عليّ عليه السلام ذهب أحد أصحاب عليّ ويسمّى «ضِرار بن ضمرة» إلى الشام والتقى في جلسة بمعاوية وقال له معاوية وكان يعرفه:

«عرّفني قليلاً في شأن عليّ عليه السلام»

فعندما سـمع ضرار اسـم عـليّ عليه السلام انقلب حاله وتلقائيـاً نزلت دموعه من عيناه وقـال: «كف عنّي واعفني من هذا الطلب»

مأصرّ معاوية وقال: «لا أكف عنك حتّى تحدثني عن فضائل عليّ عليه السلام»

فأشار إلى بعض المطالب في شأن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ومن بينها قال جملتين ذو معاني عالية وهي:

«لا يخاف الضّعيف من جوره ولا يطمع القويّ في ميله.»[٢٨٥]

من الجدير أن تكتب هذه الجملتين في لوحتين، وتنصب في مكتب رئيس منظمة الامم المتحدة وكل حكام العالم، وتكون قدوة لكل أتباع حقوق البشر

الاصل العاشر

رعاية حقوق الاقليات المذهبية

ملاحظة

من أحد المسائل التي تثير الضجّة بالنسبة للحكومة الاسلامية هي أسلوبها مع غير المسلمين، وإثارة الضجّة حولها هي لسببين:

١ – عدم علم المسلمين وغير المسلمين بتعاليم ومناهج الاسلام في هذا الموضوع.

٢ – الدعايات السيئة للعدو حيث أنهم يزعمون أنه إذا اقترب غير المسلم إلى للمسلم فسيؤثر الاسلام عليه، وسيميل ويرغب بالاسلام، وبذلك وبدعاياتهم السيئة يظهروا الاسلام والمسلمين بالخشونة وعدم قابليتهم للعطف، حتى يبعدوا المسافة بين الاسلام وغير المسلمين.

بينما يراعي الاسلام حقوق الاقليات المذهبية وقد وقّع على حياةٍ مسالمة معهم. ولتوضيح هذا المطلب سنبحث في العناوين التالية:

١ – رعاية حقوق الاقليات المذهبية في نظر القرآن.

٢ – أحاديث الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام في رعاية حقوق الاقليات.

٣ – مقتطفات من أساليب الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام مع الاقليات المذهبية.

١ - رعاية حقوق الاقليات المذهبية في نظر القرآن

دعى القرآن في آيات متعددة – كل منها في جهة – المسلمين بالمعيشة المسالم مع أهل الذمّة، أهل الكتاب والأقليات المذهبية مثل اليهوديين، المسيحيين، المجوسيين و... غيرهم.

هنا نلفت انتباهكم لعدد من الآيات:

١ – نقرأ في الآية (٨ و٩) من سورة الممتحنة:

﴿لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّما يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ﴾

٢ - وقوله عزّ وجل في الآية (٤٦) من سورة العنكبوت:

﴿وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾

٣ - ونقرأ في الآية (٦٤) من سورة آل عمران:

﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

نفهم جيداً من الآيات السابقة أنه إذا لم يقصد غير المسلمين الانقلاب والحرب ويريدون الحياة المسالمة، فإن الله يأمر المسلمين بأن لا يعادونهم ويحافظون في المباحثات بينهم على المنطق والادب والانصاف، ومن هذا الطريق يدعون الآخرين لدين الاسلام، وليس عن طريق الخشونة والشدة والتصرفات الغير اللائقة.

وبهذا الترتيب تستطيع الاقليات المذهبية أخذ حقوقها في ظل الحكومة الاسلامية وتستمر على نهجها بصورة حرّة.

٢ - أحاديث الرسول ﷺ والامام عليّ ؏ في رعاية حقوق الاقليات

نجد أيضاً في الروايات الاسلامية توصيات كثيرة ونقاط حول الحياة المسالمة مع الاقليات المذهبية ورعاية حقوقها، وعلى سبيل المثال توجهوا للروايات التالية:

١ - قال رسول الله ﷺ: «من ظلم معاهداً كنت خصمه».[٢٨٦]

٢ - وقال: «لم يبعثني ربّي عزّ وجلّ بأن أظلم معاهداً ولا غيره».[٢٨٧]

٣ - وقال أيضا: «من آذى ذمّياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه، خصمته يوم القيامة».[٢٨٨]

«ومن آذى ذمّياً فقد آذاني».[٢٨٩]

ذكرنا من قبل (في الفصل الثاني) أنّ الامام السجّاد؈ في ضمن ذكره للحقوق الخمسين، خصّ الحق الخمسين بحقوق الاقليات المذهبية وذكر من ضمنه قول رسول الله ﷺ حيث قال: «من ظلم معاهداً كنت خصمه».

وقال ﷺ: «من ظلم معاهداً، أو انتقصه حقّه، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة.»[٢٩٠]

٥ - قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في مقطع من التعهد لمالك الأشتر:

«وأَشـعِر قلبـك الرّحمة للرّعيّـة، والمحبّة لهم، واللطف بهـم، ولا تكوننّ عليهم سـبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنّهم صنفان، إمّا أخٌ لك في الدّين، أو نظيرٌ لك في الخلق.»[٢٩١]

لا يوجد تعبير أوضح وأفضل من هذا التعبير في الحياة بالمحبة مع غير المسلمين ومع التوجه إلى أن أمـير المؤمنـين عليه السلام في هذا الامر يعرّف المحبة واللطف والرحمة بإحدى الوظائف الرئيسـية في الحكومة الاسلامية، لذا يتوضح تماماً تكليف أفراد المجتمع بالنسبة لبعضهم البعض.

٦ - وأيضاً وصّي أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في توصياته لنوّابه بغير المسلمين الذين هم في حماية الاسلام، منها:

عندما جعل «جارية بن قدامه» حاكم على مصر، وبعثه لمصر، عند الوداع قال له: «إتق الله الذي إليه تصير، ولا تحتقر مسلماً ولا معاهداً».[٢٩٢]

ثم كتب له من ضمن كتاب: «لا تظلم معاهداً ولا معاهده».[٢٩٣]

٧ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من قذف ذمّياً حدّ له يوم القيامة بسياطٍ من نارٍ».[٢٩٤]

نفهـم مـن هذا الحديـث انه يجب على المسـلمين أن يتعاملـوا مع الاقليـات المذهبيـة بالطريقة التي يتعاملون بها مع المسلمين والواجبة عليهم.

٣ - مقتطفات من طرق معاملة الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام مع الاقليات المذهبية

كان تعامل الرسـول صلى الله عليه وآله والائمة المعصومين عليهم السلام مع الاقليات المذهبية مثل تعاملهم مع المسلمين في حماية حقوقهم والامتناع عن ظلمهم، والخلاصة أنهم كانوا يتعاملون معهم بالطريقة التي يراعون فيها كل أصول الحياة المسـالمة معهم، وعلى سـبيل المثال نلفت نظركم إلى عدد مـن المقاطع التاريخية في هذا المجال:

١ - أسلوب المحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله مع اهل الذمة:

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: اقترض الرسـول صلى الله عليه وآله عدة دنانير من يهودي ولكنه لم يسـتطيع سـداده في الوقت المحدد له، طالب اليهودي بحقه من الرسول صلى الله عليه وآله، فقال له صلى الله عليه وآله:

«يا يهودي ! ما عندي لأعطيك»

قال اليهودي: «فإنّي لا أفارقك يا محمد حتى تقضي دينك»

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذن سأجلس معك»

فجلس الرسول ﷺ معه حتى صلّى في ذلك الموضع صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، انتبه أصحاب الرسول ﷺ للموضوع، وذهبوا لليهودي وهدّدوه وحذّروه.

قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «ما الذي تصنعون به؟»

قالوا: «يا رسول الله يهودي يحبسك؟»

قال رسول الله ﷺ: «لم يبعثني ربّي عزّ وجلّ بأن أظلم معاهداً ولا غيره.»

عندما رأى اليهودي هذه المعاملة الحسنة من رسول الله ﷺ، انجذب للاسلام وتشهد وأسلم في ذلك اليوم.[٢٩٥]

كان رسول الله ﷺ يعيش في المدينة حياة مسالمة مع أهل الكتاب وخصوصاً مع المسيحيين ويراعي حقوقهم، وأيضاً كانت المسلمين كذلك اقتداءاً بالرسول ﷺ، وأيضاً كان رسول الله ﷺ يعامل اليهود بنفس المعاملة، ولكن فيما بعد لأن اليهود اتبعوا أسلوب الحرب والعداوة مع الاسلام، أظهر الرسول ﷺ الشّدة في التعامل معهم.

وكان لأسلوب الرسول ﷺ في تعامله مع غير المسلمين الأثر الواضح بين المسلمين إلى درجة أن هذا الأسلوب استمر إلى ما بعد الرسول ﷺ.

يقول أبو يوسف في كتاب «الخراج»: شاهد «حكيم بن حزام» أن «عياض بن عُنم» قد أوقف جمع من أهل الذّمة (غير المسلمين في حماية الاسلام) في الشمس، لأنهم لم يدفعوا الجزية (الضرائب السنوية)، وكان يريد بهذه الطريقة الضغط عليهم، قال حكيم له:

«يا عياض! ما هذا الذي تفعله؟ لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الذين يعذّبون الناس في الدنيا يُعذبون في الآخرة».[٢٩٦]

٢ - أسلوب الرسول ﷺ مع غير الجميع:

روى أن في يوم من الأيام كان رسول الله ﷺ يصلي، فسمع رجل يدوي يقول: «اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً»

بعد الانتهاء من صلاة الرسول ﷺ قال له: «لقد تحجّرت واسعاً».[٢٩٧]

ويعني بذلك بأن لا تدعو بمثل هذا الدعاء أبداً، لأن رحمة الله واسعة، ولذا ادعوا الجميع واجعل ارتباطك الروحي والمعنوي مع الجميع والهدف هو هداية الجميع ورحمتهم.

٣ - تشييع علي عليه السلام بكل محبة لصاحبه في السفر الغير مسلم:

قال الامام الصادق عليه السلام:

«كان في يوم أمير المؤمنين ﷺ مسافر مع كافر ذمّي (يهودي أو مسيحي)»، فسأله الذمّي:

«إلى أين؟»، فقال عليّ عليه السلام: «للكوفة»

وعندما وصلوا لمفترق الطرق، وأراد الرجل الذّمي مفارقة أمير المؤمنين عليه السلام، اتجه وسار أيضاً أمير المؤمنين عليه السلام معه.

قال الرجل الذّمي: «إذن لماذا لم تسلك طريق الكوفة؟»، قال عليه السلام:

«هذا من تمام حُسن الصّحبة أن يُشيّع الرّجل صاحبه هُنيئةً إذا فارقه، وكذلك أمرنا نبيّنا».

تعجّب الرجل وقال: «هل هذا حقاً»، قال الامام عليه السلام: «نعم».

قال الرجل الذّمي: «إذن، الذين يتّبعونه (الرسول) كان بسبب هذه المعاملة العظيمة منه، وإنني أشهدك أنني في دينكم».[٢٩٩]

٤ – حق التقاعد حتى لغير المسلمين:

في يوم مرّ الامام عليّ عليه السلام في طريق، فرأى شيخ كبير بالسن وغير قادر ويمدّ يده للناس ويطلب منهم المساعدة المالية، فسأل: «من هذا الشيخ؟»

قالوا الحاضرون: «هذا مسيحي»

قال عليّ عليه السلام في ضيق من ذلك:

«استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه، انفقوا عليه من بيت المال.»[٣٠٠]

٥ – صيحة عليّ عليه السلام لظلم أمرأة مسلمة وذمية:

في عصر خلافة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، دخل جيش معاوية في أحد المدن التابعة الحكومة عليّ عليه السلام وتسمي «الانبار» وأغاروها حتى سلبوا زينة وحُلى امرأة مسلمة وامرأة ذمّية، فتضايق الامام بشدة من ذلك، فخطب بالناس لتشجيعهم للجهاد، وجاء في مقطع من تلك الخطبة:

«ولقد بلغني أن الرّجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والاخرى المعاهدة فينتزع حِجْلها وقُلبها وقلائدها ورُعُثها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام ... فلو أنّ امرءً مسلماً مات من بعد هذا آسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً».[٣٠١]

وعلى هذا، نستنتج أن الاسلام أمر باحقاق حقوق الاقليات المذهبية بشكل قاطع ووصيّ وأكّد على الحياة المسالمة معهم.

٦ – النهي الشديد للامام الصادق عليه السلام عن انساب الحرام لغير المسلمين:

كان للامام الصادق عليه السلام صديق وكان دائماً معه، وفي أحد الأيام قال صديقه لغلامه: «أين كنت يا ابن الزنا؟»

عندما سمع الامام الصادق عليه السلام منه هذا التحقير والذي ضيّع به حق هذا الغلام، ضرب بقوة على

جبهته من شـدة الضيف، وقال: «سـبحان الله ! هل تنسـب الحرام لوالدة الغلام؟ كنت أعرفك تقيّا، ولكني أراك الآن غير تقي».

قال صديقه: «روحي لك الفداء، والدة هذا الغلام من أهل السند وهي وثنية».

قال الامام الصادقؑ: «ألا تعلم أن لكل أمة قانون ومراسم في الزواج؟ ابتعد عنّي».

(يعني يجب ألا تحقّره وتعايره لأن أمه غير مسلمة)

من بعد هذه الحادثة، لم يُر قط الامام الصادقؑ مع صديقه القديم، حتى فرّق بينهم الموت.[٣٠٢]

٧ - المعاملة الحسنة للاما الباقرؑ مع مسيحي والتي أدّت على اسلامه:

كانت المعاملة الحسـنة للأئمةؑ مع غير المسـلمين الذميّين سـبب لتجرّئهم على الأئمة ووقاحتهم معهم.

روي أنّه في يوم جاء نصراني إلى الامام الباقرؑ وتجسّر بكل وقاحة وقال: «أنت بقرٌ»

فردّ الامام عليه وقال: «لا أنا باقر»، قال النصراني: «أنت ابن الطباخة»

قال الامام الباقرؑ: «ذاك جرفتها»

قال النصراني: «انت ابن السوداء الزنجية البذيّة اللسان»

قال الامام الباقرؑ: «إن كنت صدقت غفر الله لها وإن كنت كذبت غفر الله لك».

فتأثـر النـصراني (عندمـا رأي مولانا بهذه الاخلاف العاليـة والرفيعة التي يتمتع بهـا مولانا وحلم مخالط بالعلم في مثل هذا الموقف) وأسلم.[٣٠٣]

(نهاية الباب الثالث)

الباب الرابع

الاستقلال والحرية، ومبارزة الاسلام ضد سياسات الاستعمار، مقارنة قصيرة بين لائحة حقوق البشر والاسلام، قصص من الاسلام في رعاية الحقوق

الاستقلال والحرية

ملاحظة

لاحقـاق حقـوق الناس من كل جهة يجب التوجه إلى عدة مواضيع مهمة في العقيدة والعمل والتي هي عبارة عن:

«الاسـتقلال، الحرية، المبارزة ضد السياسات الاستعمارية والهجوم العلمي المنحط، والصراع ضد الطواغيت والغاصبين والجائرين والديكتاتوريين، حيث أذا حصلوا على القدرة فسـوف يحدث عالميّ وتُستعمر الناس».

وبالنتيجـة قام المفكّـرون بالبحث عن الحلول وتنظيم القوانين ووضـع اعلان لحقوق البشر، حتى يمنعونهم ويصدّونهم ويُأمّنون حقوق الناس.

الدين الاسـلامي برؤيته العميقة والدقيقة للعالم، جعل الاسـتقلال والحرية وإبعاد الطواغيت من الميدان، ومن بعده حقوق البشر في مقدمة لوحة أوامره، وأقدم في هذا المجال بكل جد من كل جانب، ولتوضيح هذا المطلب يجب أن ندرس كل عنوان من العناوين السابقة، والتي لكل منها دور أساسي في تثبيت الحقوق، ومن غيرها تضيع وتهدر حقوق الفرد والمجتمع في أبعادها المختلفة.

الاستقلال وطرد الاستعمار في الاسلام

إن الاسـتقلال والصّد أمام الاستعمار في كل أبعاده أعلى وأفضل مفهوم اسلامي، والذي في ضوءه نستطيع الحصول على العدالة وتأمين حقوق الناس.

الاستقلال يعني قطع أية علاقات وروابط ضارة بالأجانب والغرباء.

الاسـتقلال الاقتصـادي، السـياسي، العلمـي والنظامـي كل منهـا أسـاس عظيم لتثبيـت الحقوق

السياسـية، الاجتماعيـة، العلميـة والنظاميـة والنجاة مـن الهرج والمـرج المخرّب، والقضـاء على الظل المشؤوم للطواغيت والغاصبين الجبّارين المؤدي إلى تهديم حريم الحقوق، وبالتالي تحل العزة والشرف من كل جانب محل الذّلة وخسارة النفس والعلاقة من كل جانب.

التطفل حرام وليس القبعة الواسعة كالطشت

يقول العلاّمة مرتضى المطهري في بيانه لمعنى الاستقلال:

«أمثالي أحيانا يواجهون أسئلة بلحن التحقير والمسخرة مثلا يقولون: سيدنا، ما رأي الشرع في أكل الطعام واقفا؟ وفي الأكل بالملعقة والشـوكة؟ هل القبعة الواسـعة كالطشت حرام؟ هل اللغة الأجنبية حرام؟

أقول في الجواب على هذه الاسئلة: لم يأتي الاسلام بأمر خاص في هذه المواضيع، لم يقل الاسلام كُل الطعـام باليـد، ولم يقل بالملعقة بل قال راعى النظافة في كل حال، وأيضا لم يذكر الاسـلام شـيئا خاصا عـن الحـذاء والقبعة واللباس، وفي نظر الاسـلام اللغة الانجليزية واليابانية والفارسـية كلهم واحدة، وأما ....

أما الاسـلام قال شـيئا آخر، قال خسارة الشـخصية حرام، ارعاب الآخرين حرام، الهضم والمحو في الآخريـن حـرام، التطفل حرام، الخديعة والسـحر أمام الاجنبي مثل الأرنب الذي يُسـحر الثعبان حـرام، جذب وجلب انحرافاتهـم ومصائبهم بعنوان ظاهرة القرن حـرام، الاعتقاد بأن تصبح الدول الاسلامية ظاهريا وباطنيا افرنجياً حرام، والذهاب أربعة صباح إلى باريس وتبديل حرف «الراء» على «غين» حرام[٣٠٤]، أي نوع من بيعو وخسارة النفس حرام، هذا هو معنى الاستقلال.

لذا، نحن لا تخالف التمدّن الصحيح بل تخالف الارتباط به، نحن نقول ن أية تقليد وتشابهٍ يزلزل إرادتنا ويجعلنا بدون محتوى وفارغ وتجري خلفه ويضعنا تحت تصرف الاجنبي، حرام.

الاستقلال في نظر القرآن

يأمر القرآن المسلمين بالاستقلال بتأكيدات وتعابير مختلفة، وعلى سبيل المثال نقرأ في الآية (١٤١) من سورة النساء:

﴿وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرينَ عَلَى الْمُؤْمِنينَ سَبيلاً﴾

وقوله عزّ وجلّ في الآية (١و٢) من سورة الممتحنة:

﴿يـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا لا تَتَّخِذُوا عَـدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيـاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِـمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ قَـدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَ إِيَّاكُمْ ...

إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً وَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾

وفي الآية (١١٨) من سورة آل عمران نقرأ:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا ما عَنِتُّمْ﴾

وجعل الاسلام في طرد الاستعمار، علاوةٌ على الأمر بالاستقلال في الآيات السابقة، المبارزة ضد الطواغيت الذين هم من عوامل الاستعمار، على رأس قائمة أوامره، وعلى سبيل المثال:

قال الله تعالى في الآية (٣٦) من سورة النحل:

﴿وَ لَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾

وقوله تعالى في الآية (٢٥٦) من سورة البقرة:

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى﴾

وقال عزّ وجلّ في الآية (٧٥) من سورة النساء:

﴿وَ ما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾

شرح وتفسير قصير:

تدعونا هذه الآيات بكل وضوح وبكل قاطعية إلى الاستقلال من كل جانب ويعتبره الاساس والمقبض القوي للايمان، وباعث لطرد الطواغيت والغاصبين المتكبرين، وحماية المستضعفين المختلفة في المجتمع.

الاستقلال يحذّرنا من العلاقات (وخاصة السياسية والعلمية) الباعثة للذّلة والقضاء على الحقوق.

الحرية في الاسلام

الحرية بمعناها الصحيح للكلمة هي أقدس العناوين التي وضعها الاسلام في السطور الأولى وفي بدايات مناهجه.

ومعنى الحرية في الاسلام ليس أن تكون بدون حبل أو قيد، قيد النفس والارتباط بالاهواء الانسانية، بل الحرية في الاسلام تعني حرية التفكر الصحيح، استقلال الفكر والتصميم على أساس صحيح، الحرية من أن تكون تحت تأثير قيد عبادة الوثن والخرافات والعادات والرسوم الخاطئة، الحرية من قيد الجهل والجاهلية وأنواع التفرقات وقيد الوطنية والعنصرية وكل أسس الاستبداد

والديكتاتورية. وقد عرّفنا القرآن بأن حرية الناس هي فلسفة من فلسفات بعثة الرسولﷺ، مثلما نقرأ في الآية (١٥٧) من سورة الاعراف:

﴿الَّذِيـنَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُـولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّـوْراةِ وَ الإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْـرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُـمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ ... أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

الحرية في أحاديث الأئمةعليهم السلام

قال أمير المؤمنين عليّعليه السلام: «أيّها النّاس إنّ آدم لم يلد عبداً ولا أمةً وإنّ الناس كلّلهم أحرارٌ».[٣٠٥]

وقال: «لا تكن عبدَ غَيرٍ وقد جعلك الله حُرّاً»[٣٠٦]

وأيضا قال: «إيّاك وكلّ عملٍ ينفر عنك حُرّاً»[٣٠٧]

قـال الامـام الصادقعليه السلام: «إنّ الحرّ حرٌّ على جميـع أحواله، إن نابته نائبةً صبر لهـا، وإن تداكّت عليه المصائب، لم تكسّره وإن أُسر وقُهر واستبدل باليُسر عُسراً كما كان يوسف الصّديقعليه السلام.»[٣٠٨]

الحرية لها معنى واسـع وبُني على أساسـها الزهد والبعد عن الطمع وحب الدنيا، ومن يسـتطيع أن يُبعد عن نفسـه الارتباطات والعلائق بمظاهر الدنيا وخدعها وجاذبيتها المادية، يسـتطيع أن يصل إلى بداية الحرية.

وعلى هذا الاساس قال أمير المؤمنين عليّعليه السلام: «ولا يسترقّنّك الطّمع وقد جعلك الله حرّاً».[٣٠٩]

وقـالعليه السلام: «ألا حـرٌّ يّـدّعُ هـذه اللّماظَة لأهلها؟ إنّه ليس لأنفسـكم ثمـنٌ إلا الجنّة فـلا تبيعوها إلا بها».[٣١٠]

النتيجة والخلاصة: نفهم من المطالب السابقة أن الحرية هي من العوامل المهمة للبناء وتعتبر اساس الحياة السليمة وباعثة على القضاء على كل قيد ورّقيّة واستقبال للاستعمار.

مثلما نسـتفيد من تاريخ الرسـولﷺ والائمةعليهم السلام وأصحابه الكبار، أنهم جميعاً كانوا يطلبون الحرّية وتحملوا المشقّة والتعب الكثير لتحصيل الحرّية.

النهضة العظيمة للامام الحسـينعليه السلام وعاشـورائه وعلـوم تلك النهضة جملةٍ جملـة وكلمةٍ كلمة هي نداء وصيحة للحرية التي لها طنين لآخر الدنيا وفي كل مكان واشراقٌ لنداء «هيهات منّا الذّلة» للامام الحسينعليه السلام في جبهة تاريخ البشرية.

خطبة السـيدة زينبعليها السلام في الكوفة والشـام هي نداءٌ آخر وصرخةٌ في وجه المسـتكبرين للقيام ضد الظالمـين الجبّاريـن، وصوت عـالي للحرّية والتي هي دائماً اعلان لثورة شـهداء كربلاء، وحقاً إذا أردنا

اعطاء حقوق الناس لأصحابها فبكل تأكيد يجب أن نرفع علم الحرية في كل مكان.

ولذلك فإن المبارزة ضد أي نوع من الاستعمار والاستثمار يجب فيها الإتكاء على الاستقلال والحرية الصحيحة، ونشر الاستقلال والحرية في لبّ المجتمع حتى تنظف علوم الأجانب والاستعمار، وفي ضوءها تُأمّن حقوق الناس.

وقد ربّى مذهب الرسول ﷺ والائمة عليهم السلام طلابه على هذا الاساس ونذكر على سبيل المثال الآتي:

١ - من أحد طلاب هذا المذهب هو أبو ذر الغفاري الصاحب الحقيقي والصادق لرسول الله ﷺ الذي رأى أنواع العذاب والآلام للتحرر من قيد ديكتاتورية بني أميّة، وفي النهاية نُفي للصحراء الحارة «ربذه» واستشهد هناك بسبب طلبه للحرية والعدالة.

بعث عثمان بمقدار من المال إلى أبو ذر بواسطة غلامه وقال لغلامه:

«إذا قبل أبو ذر هذا المال سأعتقك»

أخذ الغلام صرّة الدنانير إلى أبي ذر وأصرّ حتى يأخذه لأن فيها عتقه ، ولكن لم يقبلها أبو ذر وقال للغلام:

«إن كان فيها عتقك، فإنّ فيها رقّي.»[٣١١] لم يحصل أبو ذر على الحرية إلا بسبب زهده في الدنيا، حيث قال رسول الله ﷺ عنه: «من سرّه أن ينظر إلى زهد عيسى بن مريم فلينظر إلى أبي ذر».[٣١٢]

حرية المُعلّى ولعنة الامام على مأمور الطاغوت

٢ - كان المُعَلّى بن خُنَيس من تلامذة الامام الصادق عليه السلام وأصحابه، أحضره داوود بن عروة حاكم المدينة من قِبَل المنصور، وقال له: «اكتب أسماء الشيعة وقدّم لنا قائمة بهم»

قال المُعلّى: «ما أعرفهم»

قال داوود: « أكتبهم لي وإلا ضربت عنقك»

قال المُعلّى: «بالقتل تهددني!، والله لو كانت تحت اقدامي ما رفعتها عنهم»

وعلى هذا أعلن بوضوح حريته لاحقاق حقوق الشيعة أمام المأمور الخشن للطاغوت.

فأمر داوود بضرب عنقه وصلبه.

ومع سماع الامام الصادق عليه السلام لهذه الفاجعة، ذهب إلى داوود وقال له بغضب: «يا داوود، قتلت مولاي ووكيلي، وما كفاك القتل حّى صلبته، والله لأدعونّ الله عليك ليقتلك كما قتلته».

قال داوود للامام: «تهددني بدعائك، أدع الله لك فإذا استجاب لك فادعه عليّ» (وبهذه الصورة استهزء بالامام)

فخرج الامام الصادق عليه السلام في حالة مغضباً من عند داوود فلما جنّ الليل اغتسل واستقبل القبلة ثم

قال: «يا ذا يا ذي يا ذوا إرمِ داوود بسهم من سهامك تُقَلقِلُ به قلبه».

وبعد لعنه، اتجه الامام لغلامه وقال: «اخرج واسمع الصائح»

فجاء الخبر أن داوود قد هلك.[٣١٣]

قال أحد خادمي الامام الصادق‌عليه‌السلام ويسمى «مُعَيِّب»: إن الامام الصادق‌عليه‌السلام لم يزل ليلته راكعاً وساجداً فلما كان في السّحر، سمعته يقول وهو ساجد: «يا الله! أنزل عليه (داوود) عذابك».

فلما رفع الامام رأسه حتى سمعنا الصيحة في دار داوود ، قال الامام الصادق‌عليه‌السلام:

«إنّي دعوت الله بدعوةٍ بعث الله عزّ وجلّ عليه ملكاً فضرب رأسه بمرزبّة من حديد انشقت منها مثانته فمات».[٣١٤]

سير وسبب ظهور اعلان حقوق البشر

المقدمة

دائما وفي كل مكان وكل زمان طرحت مسألة حقوق البشر ورعايتها لتنظيم المجتمع ولمنع الحرب والنزاع بين الناس.

في كل مكان كان الحرب وعدم الامان بسبب خسائر فادحة وموحشة، فاجتمعت الرجال والشخصيات ووضعوا القوانين والحقوق ونظموها واعتمدوها، حتى تستقر في ظلّها الحياة المسالمة بين الناس، وتمنعهم من الحرب والظلم.

وبعد هذه الأحداث ظهرت قوانين بالاسماء التالي:

١ – اعلان حقوق الانجليز، الذي اعتمد في ١٦ ديسمبر ١٦٨٨ ميلادية.

٢ – استقلال الولايات المتحدة (أمريكا) وحقوق البشر، الذي اعتمد في سنة ١٧٧٦م.

٣ – الانقلاب الكبير لفرنسا وحقوق البشر، الذي اعتمد في ١٧٨٩ ميلادية.

٤ – المؤتمر الاول والثاني للاهه في سنة ١٨٩٩ و ١٩٠٧ ميلادية .... وغيرها.

جامعة الأمم وميثاق ورساي

وبهذه الطريقة استمرت تنظيم القوانين للتحكم في الحروب والنزاعات حتى حدثت الحرب العالمية الأولى والثانية.

الحرب العالمية الأولى: بدأت في سنة ١٩١٤ وانتهت في سنة ١٩١٨، في طيّ هذه الحرب أعدّ جيش في حدود ٦٥ مليون نفر من أفراد البشر، ومن هذه المجموعة هلك فيما يقارب ٩ ملايين شخص في ميدان الحرب على أثر الجروح، وأصبحت ٢٢ مليون نفر عاجزين ومعوّقين وفُقدت أكثر من خمسة ملايين

شخص، وبلغ مجموع الميزانية الاقتصادية لهذه الحرب فيها يقارب ٤٠٠ مليارد دولار تقريباً.[٣١٥]

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى، اجتمعوا الخبراء وممثلي (٣٢) دولة في ١٨ يناير ١٩١٩ في «ورساي» حتى يطرحوا خريطة جديدة وبها تنهى الاضطرابات الحدودية، ويرمم ويصلح العالم الخرب.

في هذا الكنفرانس، اعتمدت أعضائها على تعهد وميثاق يشمل ٤٠٠ مادة، وتم الاقتراح فيها:

لاحترام وحفظ كل الأراضي والاستقلال السياسي اقترح الأمم الاعضاء بأن تأسس كل الامم الاعضاء أمام التجاوزات والانتهاكات والاعتداءات الخارجية ملجأ باسم: «جامعة الامم»، حتى في الأوقات الضرورية والعصيبة تحل المشكلات العالمية عن طريق المذاكرة وتبادل الآراء بصورة مسالمة.

واتفقا الآراء تم اعتماد هذا الاقتراح، ونستطيع أن نقول أنّ تشكيل جامعة الامم كانت أول مجهود واقعي لإيجاد حسن التعاون وتوفيق دولي بين الدول.

بدأت جامعة الامم عملها في سنة ١٩٢٠، وفي طول العشرين سنة كانت منشأن لإقدامات واضحة وجليه ونافعة.

واستقرت جامعة الامم في جنوة، وكانت سبعمائة وسبعة أشخاص يقومون بانجاز أعمالها اليومية، ومن جملة أعمالها وإقداماتها النافعة هي إيجاد «منظمة الصحة العالمية» ، «المنظمة العالمية للعمل»، و«ديوان القضاء العالي»، وكل هذه الامور تسمى «تشكيلات منظمة الامم المتحدة».

الحرب العالمية الثانية وتشكيل منظمة الامم المتحدة: بالرغم من كثرة السعي وبذل الجهود لحياة مسالمة، فإن الديكتاتورية وطلب الشهرة وحب المنفعة للسياسيين ورؤساء الدول الكبرى أدّت على حرق الدنيا مرة خرى من بعد ٢٠ سنة من ترك الحرب، بالنيران الحارقة والقاضية وحكمت الوحشة والخوف والاضطراب والقتل الجماعي الدنيا بدلاً من الهدوء والامام والامل، ونتجت من هذه الحرب (٥) ملايين قتيل و (٢٠) مليون معوّق و (١٢) مليون سقط جنين.

نتجت عن هذه الحرب والتي بدأت في سنة ١٩٣٩ واختتمت في سنة ١٩٤٥ أضرار مادية وروحية وأخلاقية إلى حدّ أن من المحتمل ألا تندثر آثارها المشؤومة ربما إلى مئة سنة.[٣١٦]

فاجتمعت الدول الكبرى - أمريكا وانجلترا وفرنسا وروسيا والصين - في موسكو سنة ١٩٤٣ لعودة الصلح إلى العالم وبدأت بالمذاكرة.

ثم تمت لقاءات أخرى وأخيراً في شهر أبريل من سنة ١٩٤٥، بعثت مليارد و ٧٠٠ مليون شخص من بشر العالم بممثليها ووكلائها إلى مدينة «سان فرانسيسكو» الواقعة في غرب أمريكا حتى يجتمعون

بعضهم ببعض ويضعون اساس لهيئة أو منظمة والتي على حسب قولهم، تضمن الصلح العام والأمن العالمي.

هذا المؤتمر والذي شُكّل باشتراك ممثلي خمسين دولة استمر إلى شهر يونيو لسنة ١٩٤٥.

في هذه المدة (الشهرين) تبادلت ممثلي الخمسين دولة الآراء، وفي النهاية اعدّوا «اعلان الامم المتحدة» ووقعوه، وجاء هذا الاعلان في ١٩ فصل و ١١١ مادة.

وسمّيت المنظمة التي شكّلت لإجراء علان الامم المتحدة باسم «منظمة الامم المتحدة»، ومقر هذه المنظمة وقصرها المكون من ٣٩ طابق موجود في الساحل الشرقي لمدينة نيويورك في أمريكا، والآن في حدود ١٥٠ دولة أعضاء في تلك المنظمة.[٣١٧]

اعلان الثلاثون مادة لحقوق البشر

وبناءاً على المادة (٦٨) من اعلان الامم المتحدة، كان من وظيفة المجلس الاقتصادي والاجتماعي والذي هو جزء من الأركان الاصلية لمنظمة الامم، تشكيل لجنة لنشر حقوق البشر، وبذلك تمت تشكيل لجنة في أوائل سنة ١٩٤٦ باسم «لجنة حقوق البشر» والتي كانت لها وظيفة كبيرة وتاريخية ألا وهي تجميع الأسناد وتدوين مطالب وآمال بشر العالم في مقتضى حقوق البشر وتقديمها في الجمعية العمومية لمنظمة الامم المتحدة للتصديق عليها.

وأعدّت مسودّة لاعلان حقوق البشر في خريف سنة ١٩٤٨، وقدمتها في الدورة الثالثة لانعقاد الجمعية العمومية التي انعقدت في باريس وتمت دراستها.

وأخيراً في تاريخ ١٠ ديسمبر لسنة ١٩٤٨ في جلسة مسائية تم الاعتماد على الاعلان العالمي لحقوق الانسان بعنوان أفضل حقوق انساني في العالم، والتي تشمل على مقدمة و٣٠ مادة.

وتم اعتماده بموافقة ٤٨ دولة من بين ٥٨ دول أعضاء، وامتنعت ثماني دول وكانت دولتين غائبتين.

وسميت هذا اليوم «بيوم حقوق البشر» وفي كل سنة تحتفل أكثر الدول بهذا اليوم.

وفي الدورة الرابعة عشر من مجلس النواب الشعبي لإيران، تم اعتماد «اعلان حقوق البشر» في ٢ آبان لسنة ١٣٢٧ شمسية ومنذ ذلك اليوم سميت هذا اليوم في إيران بيوم منظمة الامم.

وبناءاً على ذلك تم اعتماد على اعلان حقوق البشر في سنة ١٩٤٨ (من قبل خمسين سنة) لحفظ البشر وجيل المستقبل من الحروب وسفك الدماء ولاحقاق حقوق كل الامم، وتم إعلانه لكل العالم.[٣١٨]

المواد الثلاثون لاعلان حقوق البشر

هنا نلفت نظركم إلى المواد الثلاثين من الاعلان العالمي لحقوق الانسان:

المادة ١ يولد جميع الناس أحرارا ومتساوين في الكرامة والحقوق، وهم قد وهبوا العقل والوجدان وعليه أن يعاملوا بعضهم بعضا بروح الاخاء.

المادة ٢ لكل انسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات المذكورة في هذا الاعلان، دونما تمييز من أي نوع، ولا سيما التمييز بسبب العنصر، أو اللون ، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأي سياسيا وغير سياسي، أو الأصل الوطني والاجتماعي، أو الثروة، أو المولد، أو أي وضع آخر.

وفضلا عن ذلك، لا يجوز التمييز على أساس الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي للبلد أو الاقليم الذي ينتمي إليه الشخص، سواء أكان مستقلا أو موضوعا تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أو خاضعا لأي قيد آخر على سيادته.

المادة ٣ لكل فرد حق في الحياة والحرية وفي الامام على شخصه.

المادة ٤ لا يجوز استرقاق أحد أو استعباده، ويحظر الرق والاتجار بالرقيق بجميع صورهما.

المادة ٥ لا يجوز إخضاع أحد للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الحاطة بالكرامة.

المادة ٦ لكل إنسان، في كل مكان، الحق بأن يعترف له الشخصية القانونية.

المادة ٧ الناس جميعاً سواء أمام القانون، وهم يتساوون في حق التمتع بحماية القانون دونما تمييز، كما يتساوون في حق التمتع بالحماية من أي تمييز ينتهك هذا الاعلان ومناي تحريض على مثل هذا التمييز.

المادة ٨ لكل شخص حق اللجوء إلى المحاكم الوطنية المختصة لإنصافه الفعلي من أية أعمال تنتهك الحقوق الاساسية التي يمنحها إياه الدستور أو القانون.

المادة ٩ لا يجوز إعتقال أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً.

المادة ١٠ لكل إنسان، على قد المساواة التامة مع الآخرين، الحق في أن تنظر قضيته محكمة مستقلة ومحايدة، نظرا منصفا وعلنيا، للفصل في حقوقه والتزاماته وفي أية تهمة جزائية توجه إليه.

المادة ١١ ١ - كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئا إلى أن يثبت إرتكابه لها قانونا في محاكمة علنية تكون قد وفرت له فيها جميع الضمانات اللازمة للدفاع عن نفسه.

٢ - لا يدان أي شخص بجريمة بسبب أي عمل أو امتناع عن عمل لم يكن في حينه يشكل جرما بمقتضى القانون الوطني أو الدولي، كما لا توقع عليه أية عقوبة أشد من تلك التي كانت سارية في الوقت الذي ارتكب فيه الفعل الجرمي.

المادة ١٢ لا يجوز تعريض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو في شؤون أسرته أو مسكنه أو مراسلاته، ولا لحملات تمس شرفه وسمعته، ولكل شخص الحق في أن يحميه القانون من مثل ذلك التدخل أو تلك الحملات.

المادة ١٣ ١ - لكل فرد حق في حرية التنقل وفي اختيار محل إقامته داخل حدود الدولة.

٢ - لكل فرد حق في مغادرة أي بلد، بما في ذلك بلده، وفي العودة إلى بلده.

المادة ١٤ ١ - لكل فرد حق التماس ملجأ في بلدان أخرى والتمتع به خلاصا من الاضطهاد.

٢ - لا يمكن التذرع بهذا الحق إذا كانت هناك ملاحقة ناشئة بالفعل عن جريمة غير سياسية أو عن أعمال تناقض مقاصد الامم المتحدة ومبادئها.

المادة ١٥ ١ - لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.

٢ - لا يجوز، تعسفا، حرمان أي شخص من جنسيته ولا من حق في تغيير جنسيته.

المادة ١٦ ١ - للرجل والمرأة، متى أدركا سن البلوغ، حق وتأسيس أسرة، دون أي قيد بسبب العرق أو الجنسية أو الدين، وهما متساويان في الحقوق لدى التزوج وخلال قيام الزواج ولدى انحلاله.

٢ - لا يعقد الزواج إلا برضا الطرفين والمزمع زواجهما رضاء كاملا لا إكراه فيه.

٣ - الأسرة هي الخلية الطبيعية والأساسية في المجتمع، ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة.

المادة ١٧ ١ – لكل فرد حق في التملك، بمفرده أو بالاشتراك مع غيره.
٢ – لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفا.

المادة ١٨ لكل شخص حق في الحرية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا لحق حريته في تغيير دينه أو معتقده، وحريته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبد إقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حدة.

المادة ١٩ لكل شخص حق التمتع بحرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حريته في اعتناق الآراء دون مضايقة، وفي التماس الأنباء والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين، بأية وسيلة ودونما اعتبار للحدود.

المادة ٢٠ ١ – لكل شخص حق في حرية الاشتراك في الاجتماعات والجمعيات السلبية.
٢ – لا يجوز إرغام أحد على الإنتماء إلى جمعية ما.

المادة ٢١ ١ – لكل شخص حق المشاركة في إدارة الشؤون العامة لبلده، إما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يختارون في حرية.
٢ – لكل شخص، بالتساوي مع الآخرين، حق تقلد الوظائف العامة في بلده.
٣ – إرادة الشعب هي مناط سلطة الحكم، ويجب أن تتجلى هذه الإرادة من خلال انتخابات نزيهة تجرى دورياً بالاقتراع العام وعلى المساواة بين الناخبين وبالتصويت السري أو بإجراء مكافىء من حيث ضمان حرية التصويت.

المادة ٢٢ لكل شخص، بوصفه عضوا في المجتمع، حق في الضمان الاجتماعي، ومن حقه أن توفر له، من خلال المجهود القومي والتعاون الدولي، وبما يتفق مع هيكل كل دولة ومواردها، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي لا غنى عنها لكرامته ولتنامي شخصيته في حرية.

المادة ٢٣ ١ – لكل شخص حق في العمل، وفي حرية اختيار عمله، وفي شروط عمل عادلة ومرضية، وفي الحماية من البطالة.
٢ – لجميع الافراد، دون تمييز، الحق في أجر متساو على العمل المتساوي.
٣ – لكل فرد يعمل حق في مكافأة عادلة ومرضية تكفل له ولأسرته عيشة لائقة بالكرامة البشرية وتستكملن عند الاقتضاء، بوسائل أخرى للحماية الاجتماعية.
٤ – لكل شخص حق إنشاء النقابات مع آخرين والانضمام إليها من أجل حماية مصالحه.

المادة ٢٤ لكل شخص حق في الراحة واوقات الفراغ، وخصوصا في تحديد معقول لساعات العمل وفي إجازات دورية مأجورة.

المادة ٢٥ ١ – لكل شخص حق في مستوى معيشة يكفي لضمان الصحة والرفاهة له ولأسرته، وخاصة على صعيد المأكل والملبس والمسكن والعناية الطبية وصعيد الخدمات الاجتماعية الضرورية، وله الحق في ما يأمن به الفوائل في حالات البطالة أو المرض أو العجز أو الترمل أو الشيخوخة أو غير ذلك من الظروف الخارجة عن إرادته والتي تفقده أسباب عيشه.

٢ – للأمومة والطفولة حق في رعاية ومساعدة خاصتين، ولجميع الأطفال حق التمتع بذات الحماية الاجتماعية سواء ولدوا في إطار الزواج أو خارج هذا الإطار.

المادة ٢٦ ١ – لكل شخص حق في التعليم، ويجب أن يوفر التعليم مجاناً، على الأقل في مرحلتيه الابتدائية والاساسية . ويكون التعليم الابتدائي إلزاميا، ويكون التعليم الفني والمهني متاحا للعموم . ويكون التعليم العالي متاحا للجميع تبعاً لكفاءتهم.

٢ – يجب أن يستهدف التعليم التنمية الكاملة لشخصية الانسان وتعزيز احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية. كما يجب أن يعزز التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الامم وجميع الفئات العنصرية أو الدينية، وأن يؤيد الأنشطة التي تضطلع بها الامم المتحدة لحفظ السلام.

٣ – للآباء، وعلى سبيل الأولوية، حق اختيار نوع التعليم الذي يعطى لأولادهم.

المادة ٢٧ ١ – لكل شخص حق المشاركة الحرة في حياة المجتمع الثقافية، وفي الاستمتاع بالفنون، والاسهام في التقدم العلمي وفي الفوائد التي تنجم عنه.

٢ – لكل شخص حق في حماية المصالح المعنوية والمادية المترتبة على أي إنتاج علمي أو فني من صنعه.

المادة ٢٨ لكل فرد حق التمتع بنظام اجتماعي ودولي يمكن أن تتحقق في تلك الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الاعلان تحققا تاماً.

المادة ٢٩ ١ – على كل فرد واجبات إزاء الجماعة، التي فيها وحدها يمكن أن تنمو شخصيته النمو الحر الكامل.

٢ – لا يخضع أي فرد، في ممارسة حقوق وحرياته، إلا للقيود التي يقررها القانون مستهدفاً منها، حصرا، ضمان الاعتراف الواجب بحقوق وحريات الآخرين

واحترامها، والوفاء بالعادل من مقتضيات الفضيلة والنظام العام ورفاه الجميع في مجتمع ديمقراطي.

٣ - لا يجوز في أي حال أن تمارس هذه الحقوق على نحو يناقض مقاصد الامم المتحدة وبمبادئها.

المادة ٣٠

ليس في هذا الاعلان أي نص يجوز تأويله على نحو يفيد انطواءه على تخويل أية دولة أو جماعة، أو أي فرد، أي حق في القيام بأي نشاط أو بأي فعل يهدف إلى هدم أي من الحقوق والحريات المنصوص عليها فيه.